حولية الكوفة

دورية سنوية محكمة، تعنى بالدراسات والبحوث التراثية والمعاصرة المتخصصة بشؤون مدينة الكوفة ومسجدها المعظم
تصدر عن أمانة مسجد الكوفة والمزارات الملحقة به ـ العدد التاسع ـ شوال ١٤٤٠هـ / حزيران ٢٠١٩م

باب الثعبان - مسجد الكوفة المعظم

٩

ديوان الوقف الشيعي
أمانة مسجد الكوفة
والمزارات الملحقة به

المشرف العام
السيد محمد مجيد الموسوي

رئيس التحرير
د. كامل سلمان الجبوري

نشأة التّيار العلوي في الكوفة إلى نهاية العصر الأموي (١٣٢هـ/ ٧٤٩م)

(القسم الأول)

الدّكتور أحمد علاوي مجيد البغدادي
الجامعة الإسلامية - النجف الأشرف

بسم الله الرّحمن الرّحيم

المقدمة:

الحمد لله متواتراً متسقاً، ومتوالياً مستوسقاً، وصلواته على خير خلقه محمّد أبداً وسلامه سرمداً وعلى عترته الطّاهرين وصحبه الغر الميامين الّذين صدقوا بالنّبأ العظيم وبعد.

هذه خلاصة جهد متواصل لمدة لا بأس بها من الزّمن أقدمها في بحث متواضع، لدراسة «نشأة التّيار العلوي في الكوفة إلى نهاية العصر الأموي ١٣٢هـ/ ٧٤٩م»، ولهذا الموضوع أهمية كبرى انطلاقاً من أهمية آل بيت الرّسول الأطهار «عليهم أفضل السّلام»، وفي مقدمتهم أمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب(عليه السلام)، الّذين رفدوا الإنسانية بنمير علمهم، وغذوها من لبنات أفكارهم، وصانوا الإسلام من كلّ مكروه بأنفسهم.

كما أنّ أهمية الموضوع تكمن في النّضال المرير الّذي خاضه التّيار العلوي، والجهد المضني، والعمل المتواصل في مجابهة التّسلط الأموي، حيث قدم التّيار تضحيات جسيمة في شأن إعلاء كلمة الله، وإعادة الدّين على نهجه الصّحيح.

وللموضوع أهمية أخرى يمكن تلمسها بأنّ الدّراسات الأكاديمية في العراق نادراً ما كانت تتناول موضوعاً على تماس بقضايا آل بيت الرّسول «عليهم أفضل السّلام»، فكيف هو الحال إذا كان الموضوع في الصّميم؟ كما هو حال موضوع البحث.

قسمت الرّسالة إلى هذه المقدمة وأربعة فصول وخاتمة وضع فيها الباحث خلاصة استنتاجاته عن نشأة التّيار وتأثيره على الحياة السّياسية والدّينية للدولة العربية الإسلامية، أعقبها بملاحق متنوعة مست مساً مباشراً متونها، وختمها بالمصادر والمراجع المعتمدة في إعداد هذه الرّسالة.

تناول الفصل الأول: «التّيار العلوي -النّشأة والتّأسيس- في الكوفة حتّى سنة ٤١هـ» في أربعة مباحث، درس المبحث الأوّل الكوفة التّسمية والنّشأة والتّأسيس التركيبة الاجتماعية، قراءة موجزة، فيما تناول المبحث الثّاني لمحات تاريخية عن نشأة التّيار العلوي في الكوفة حتّى سنة «٣٥هـ»، واختص المبحث الثّالث باتخاذ الكوفة عاصمة للدولة الإسلامية وأثر ذلك على تطورات التّيار العلوي، في حين سلط المبحث الرّابع أضواء على البناء الفكري والعقائدي حتّى سنة «٤١هـ».

ودرس الفصل الثّاني: «مواقف التّيار العلوي وتطوراته في الكوفة ٤١- ٦٣هـ» من خلال أربعة مباحث، حيث تناول المبحث الأوّل استيلاء معاوية بن أبي سفيان على الخلافة والموقف منه حتّى سنة «٥٠هـ»، واستكمل المبحث الثّاني إجراءات السّلطة الأموية من النّاحية الإدارية والسّياسية في الكوفة لمواجهة التّيار العلوي ما بين «٥٠- ٦٠هـ»، وفي المبحث الثّالث قراءة تحليلية في موقف التّيار العلوي من ثورة الإمام الحسين(عليه السلام)، واستكمل المبحث الرّابع أثر ذلك في تعميق البناء العقائدي والفكري للتيار العلوي وتأسيس حركة التّوابين.

أمّا الفصل الثّالث فتناول: «معارضة التّيار العلوي للخلافة الأموية ما بين ٦٣- ٩٩هـ» في أربعة مباحث، درس المبحث الأوّل حركة التّوابين والمواجهة مع السّلطة الأموية في معركة عين الوردة سنة «٦٥هـ»، أمّا المبحث الثّاني فتناول قراءة فكرية في تأسيس حركة المختار الثّقفي «٦٥- ٦٧هـ»، ودرس

المبحث الثّالث عوامل نشوء الكيسانية، كما درس المبحث الرّابع التّيار العلوي وسياسة الحجاج بن يوسف الثّقفي.

وأخيراً جاء في الفصل الرّابع: «التّيار العلوي أواخر العهد الأموي ٩٩- ١٣٢هـ» في أربعة مباحث، درس المبحث الأوّل خلافة عمر بن عبد العزيز والتّيار العلوي حتّى وفاة الإمام محمّد الباقر(عليه السلام) سنة «١١٤هـ»، درس المبحث الثّاني ثورة زيد بن علي(عليه السلام) سنة «١٢٢هـ» والموقف منها، وتناول المبحث الثّالث حركة عبد الله بن معاوية «١٢٦- ١٢٩هـ»، في حين درس المبحث الرّابع التّيار العلوي والدّعوة العبّاسية حتّى سقوط الدّولة الأموية سنة «١٣٢هـ».

واجه الباحث خلال مدة إعداد الرّسالة كثيراً من المشاكل والمتاعب، أرهقت كاهله، وتطلبت منه جهداً مضاعفاً، وذلك للظروف الصّعبة الاستثنائية، فانتقال البلاد من حافة الضّنك والحصار في ظل القيادة الاستبدادية، إلى غياب الأمن والأمان في ظل الاحتلال الأجنبي، كلّ ذلك كان كفيلاً بإحداث إرباك خطير في عمل مؤسسات الدّولة بشكل عام، وهو ما ظهر سلبياً على فئات عديدة في المجتمع العراقي، كان في مقدمتهم فئة الباحثين، بيد إنّ الباحث بذل جهداً للحد من تأثير ذلك الإرباك على خطواته في البحث والدّرس بأناة وصبر جميل، واضعاً نصب عينيه الأمل في تكليل مسعاه بالنّجاح وتحقيق أهداف الرّسالة.

إنّ دراسة التّيار العلوي تستوجب الاعتماد على جملة مصادر متنوعة الاختصاص، فلم يقتصر اعتماد البحث على الكتب التّاريخية حسب، بل تعداها إلى كتب الأنساب والطّبقات والتّراجم والتّفسير والحديث والفقه والأدب، مما له علاقة بالموضوع، كما اعتمد البحث على الكتب والدّراسات الحديثة الّتي اهتمت «من قريب أو بعيد» بموضوعه.

ولا بد من الإشارة إلى أنّ هذا التّحليل للمصادر والمراجع يركز على أهم الكتب الّتي اعتمدت في البحث وفق مجموعاتها، ومرتبة على التّسلسل الزّمني لوفيات المؤلفين.

اهتمت كتب التّاريخ العام بموضوع البحث بشكل أو بآخر حسب ميول المؤرخين ودرجة تخوفهم من السّلطة الحاكمة، مما أثر في عرضهم لحقيقة الموضوع، ومن أبرز كتب التّاريخ المعتمدة كتاب خليفة بن خياط «ت ٢٤٠هـ» تاريخ خليفة بن خياط وهو من أقدم كتب حوليات التّاريخ العربي الإسلامي، الّذي يبدأ من السّنة الأولى الهجرية وينتهي عند سنة «٢٣٠هـ»، وله أهمية كبيرة على الرّغم من أنّ معلوماته مقتضبة، وقد أفادني في الوقوف على أحداث الكوفة السّياسية، وكذلك كتاب الطّبري «ت ٣١٠هـ» تاريخ الرّسل والملوك الّذي شمل نصوصاً مهمة، إذ كانت أهميته بين المصادر لما تضمنه من معلومات غزيرة وتفاصيل دقيقة تمت مراجعتها والإفادة منها في موضعها، وكان لكتابي المسعودي «ت ٣٤٦هـ» مروج الذّهب ومعادن الجواهر، والتّنبيه والأشراف مكانهما في البحث بما عرضاه من حقائق تاريخية عن أخبار الأئمّة الأطهار(عليهم السلام)، وبعض صحابة رسول الله(صلى الله عليه وآله).

اعتمد البحث على كتب السّيرة والفتوح، إذ أنّها أوردت نصوصاً قيمة اعتمدت في البحث، ومن أبرز هذه الكتب: كتاب ابن هشام «ت ٢١٨هـ» السّيرة النّبوية، وهو من أهم مصادر التّاريخ الإسلامي لما يحويه من تفاصيل مهمة عن سيرة الرّسول(صلى الله عليه وآله) وأصحابه، وفي مقدمتهم الإمام علي بن أبي طالب(عليه السلام)، وكتاب البلاذري «ت ٢٧٩هـ» فتوح البلدان، وهو من المصادر المهمة، وقد رتب هذا الكتاب على أساس المقاطعات، وقد ساعدني في معرفة مراحل نشأة الكوفة، وتركيبتها الاجتماعية.

اعتمد البحث أيضاً على كتب الأنساب والطّبقات والتّراجم: ويقف في مقدمتها كتاب ابن سعد «ت ٢٣٠هـ» الطّبقات الكبرى، وتمت الإفادة منه لتتبع تراجم الصّحابة والرّجال، إذ إنّه يذكر في تراجم الصّحابة معلومات مفصلة عن ثقافتهم وعلومهم وحياتهم الاجتماعية زاد في قيمتها سبق ابن سعد في هذا المجال، وكتاب خليفة بن خياط طبقات خليفة، وكتاب البلاذري أنساب الأشراف، وقد ذكر تراجم أغلب الطّالبيين، وعرض بالتّفصيل أحوالهم، وكتاب ابن حبان «ت ٣٥٢هـ» الثّقات، وكتابه الآخر مشاهير علماء الأمصار، ومع إنّ هذه الكتب تهتم بالأنساب إلا إنّها تعرض بعض المعلومات الّتي تخدم الموضوع.

وقد قدم كتاب ابن عبد البر القرطبي «ت ٤٦٣هـ» الاستيعاب في معرفة الأصحاب، وكتاب ابن الأثير «ت ٦٣٠هـ» أسد الغابة في معرفة الصّحابة، وكتاب شمس الدّين الذّهبي «ت ٧٤٨هـ» سير أعلام النّبلاء، وكتاب ابن حجر «٨٥٢هـ» الإصابة في تمييز الصّحابة تفاصيل دقيقة وتراجم وافية لعدد كبير من رجال التّيار العلوي.

أمّا كتب التّفاسير: فقد تمت الإفادة منها في بيان نزول وتفسير الآيات القرآنية الكريمة ومنها كتاب الطّبري جامع البيان عن تأويل أي القرآن، وكتاب الطّوسي «ت ٤٦٠هـ» التّبيان في تفسير القرآن، وكتاب الطّبرسي «ت ٥٤٨هـ» مجمع البيان في تفسير القرآن.

كان لكتب الحديث أثر كبير في إغناء رسالتي بالمعلومات التّاريخية، إذ تكاد تكون أكثر المصادر فائدة، وذلك لغزارة

المعلومات القيمة فيها، زاد في قيمتها السّبق الزّمني لمؤلفيها، ومنها: كتاب الدّارمي «ت ٢٥٥هـ» سنن الدّارمي، وكتاب البخاري «ت ٢٥٦هـ» صحيح البخاري، وكتاب ابن ماجة «ت ٢٧٥هـ» سنن ابن ماجة، وكتاب النّسائي «ت ٣٠٣هـ» سنن النّسائي، وكتاب الكليني «ت ٣٢٩هـ» الأصول من الكافي، وكتاب الصّدوق «ت ٣٨١هـ» من لا يحضره الفقيه، وكتاب ابن أبي الحديد «ت ٦٥٦هـ» شرح نهج البلاغة.

كانت الجوانب التّاريخية في كتب الفقه قليلة قياساً إلى المصادر الأخرى الّتي اعتمدتها في دراستي لنشأة التّيار العلوي في الكوفة، وهذه النّصوص على قلتها إلا أنّها كانت تكشف عن صورة جيدة لمراحل تطور الفكر العلوي، وخاصة في مجال النّظم والتّشريع، ومنها كتاب الشّافعي «ت ٢٠٤هـ» الأم، وكتاب الصّدوق علل الشّريعة، وكتاب الشّيخ المفيد «ت ٤١٣هـ» المقنعة.

كانت كتب العقائدوعلم الكلام والفلسفة ذات صلة وثيقة بالتّطور الفكري للتيار العلوي، ودور أئمّة آل بيت الرّسول «عليهم أفضل السّلام» في تثبيت العقائد الأساسية الّتي اعتمدها المسلمون، وفي كشف التّيارات المناوئة للإسلام، ومنها: كتاب محمّد بن جرير بن رستم الطّبري «ت أوائل القرن الرّابع الهجري» دلائل الإمامة، وكتابي الشّيخ المفيد أوائل المقالات، والفصول المختارة، وكتاب الشّهرستاني «ت ٥٤٨هـ» الملل والنّحل، وكتاب محمّد بن أبي القاسم الطّبري «من علماء القرن السّادس الهجري» بشارة المصطفى.

كما لكان لكتب اللغة أثر في إغناء الرّسالة من حيث تفسير المفردات لغوياً، وهو ما تفتقر إليه كتب التّاريخ ومنها: كتاب الفراهيدي «ت ١٧٥هـ» العين، وكتاب ابن منظور «ت ٧١١هـ» لسان العرب، وكتاب الفيروز آبادي «ت ٨١٧هـ» القاموس والمحيط

ولا ريب في أنّ كتب الأدب قد تناولت جوانب من الموضوع حتّى وإن لم ينصب اهتمامها عليه بشكل واسع، لذلك اعتمدها البحث، ومنها كتاب الجاحظ «ت ٢٥٥هـ» الحيوان، وكتاب ابن قتيبة «ت ٢٧٦هـ» المعارف، وكتاب ابن عبد ربه «ت ٣٢٨هـ» العقد الفريد، وكتاب أبي فرج الأصفهاني «ت ٣٥٦هـ» الأغاني.

واعتمد البحث عدداً من كتب البلدان والجغرافية منها: كتاب اليعقوبي «ت ٢٨٤هـ» البلدان، وكتاب الأصطخري «ت في النّصف الأوّل من القرن الرّابع الهجري» المسالك والممالك،وكتاب ياقوت الحموي «ت ٦٢٦هـ» معجم البلدان، الّذي كان حاضراً على امتداد صفحات الرّسالة وأمدنا بمعلومات قيمة عن المدن الّتي كانت بحاجة إلى تعريف.

تناولت بعض جوانب التّيار العلوي مراجع حديثة، والّتي ساعدت في التّوصل إلى بعض الاستنتاجات المتواضعة ومنها: كتاب حسن إبراهيم حسن تاريخ الإسلام السّياسي، وكتاب علي حسني الخربوطلي تاريخ العراق في ظل الحكم الأموي، وكتاب يوسف خليف حياة الشّعر في الكوفة، وكتاب صائب عبد الحميد تاريخ الإسلام الثّقافي والسّياسي.

أمّا كتب المستشرقين فقد اعتمد البحث على بعضها، منها: كتاب ماسينيون خطط الكوفة، الّذي يعدمن المراجع المهمة في تحديد خطط الكوفة وتنظيماتها، وكتابي فلهوزن الخوارج والشّيعة، وتاريخ الدّولة العربية الإسلامية، وكتاب كارل بركلمان تاريخ الشّعوب الإسلامية.

وهناك مصادر ومراجع أخرى اعتمدها البحث، يمكن الاطلاع عليها في قائمة المصادر والمراجع.

وبعد فإن أصبت، فذلك فضل من الله عز وجل، وإن أخطأت فذلك تقصير مني، وعذري أنّي قد حاولت، وإنّي أتعلم، والله الموفق.

الباحث

الفصل الأوّل

النّيار العلوي النّشأة والتّأسيس في الكوفة حتّى سنة "٤١هـ"

- **المبحث الأوّل**: الكوفة التّسمية والتّأسيس والتّركيبة الاجتماعية.
- **المبحث الثّاني**: لمحات تاريخية عن نشأة التّيار العلوي في الكوفة حتّى سنة «٣٥هـ».
- **المبحث الثّالث**: خلافة الإمام علي(عليه السلام) واتخاذ الكوفة عاصمة للدولة العربية الإسلامية.
- **المبحث الرّابع**: أضواء على البناء الفكري والعقائدي للتيار العلوي حتّى سنة «٤١هـ».

المبحث الأوّل:

- **الكوفة التّسمية والتّأسيس والتّركيبة الاجتماعية:**

قدمت المعاجم اللغوية والمصادر التّاريخية وكتب البلدان روايات متنوعة عن أصل تسمية الكوفة، فذكروا إنّها سميت بهذا الاسم من قولهم «تكوف الرّمل أي ركب بعضه بعضاً، والكوفة رملة مستديرة»[1]، وقد أخذ من قول العرب: «رأيت

(١) ابن الفقيه، أبو بكر أحمد بن محمّد الهمداني، مختصر كتاب البلدان، دار إحياء التّراث العربي «بيروت- ١٩٨٨م»، ص١٥٤.

كوفان»[١]، والكوفة: «الرملة الحمراء»، وبها سميت الكوفة كوفة، وكوفان أيضاً اسم للكوفة[٢]، ويقال: «إنّ فلاناً من بني فلان لفي كوفان، وكوفان أي في أمر شديد، ويقال في عناء ومشقة ودوران»[٣] وقيل: «أخذت الكوفة من كوفان، يقال: هم في كوفان أي بلاء وشر»[٤]، و«كلّ حصباء ورمل هكذا مختلطين فهو كوفة»[٥]، وقيل سميت الكوفة كوفة لاجتماع النّاس بها من قولهم تكوف الرّمل[٦]، وتكوف الرّمل والقوم، أي استداروا[٧]، ويقال سميت بالكوفة لأنّها جزء من البلاد وذلك من قول العرب قد أعطيت فلاناً كيفة، أي جزء[٨]، وقيل نسبة إلى جبل صغير في وسطها يسمى كوفان، وأطلق عليها أيضاً كوفة الجند من قول الشّاعر عبده بن الطّيب:

إنّ الّتي وضعت بيتاً مهاجرة

بكوفة الجند غالت ودها غول[٩]

كان موضع الكوفة يدعى سورستان[١٠] وهو موضع يجمع بين طبيعتين: البدوية والحضرية[١١]، لأنّها تقع على حافة الصّحراء الممتدة نحو الجزيرة[١٢]، وفي رواية أخرى يدعى خدعذراء، وتنبت فيها عدة نباتات[١٣]، وهي بذلك تكون مرعى جيداً للحيوانات.

وكان الإمام علي(عليه السلام)«٣٥- ٤٠هـ/ ٦٥٦- ٦٦١م» إذا أشرف على الكوفة يقول:

(١) م. ن.

(٢) الجوهري، إسماعيل بن حماد، الصّحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: أحمد عبد الغفور، ط٤، مطبعة دار الملايين «بيروت- ١٤٠٧ه»، ج٤، ص١٤٢٤.

(٣) ابن منظور، جمال الدّين محمّد بن مكرم المصري، لسان العرب، مطبعة دار إحياء التّراث العربي «بيروت- ١٤٠٥هـ»، ج٩، ص٣١١.

(٤) ياقوت الحموي، شهاب الدّين بن عبد الله، معجم البلدان، قدم لها: محمّد عبد الرّحمن المرعشلي، مطبعة إحياء التّراث العربي «بيروت- ١٩٩٦م»، مج٤، ج٧، ص١٦٠.

(٥) المقدسي، شمس الدّين أبو عبد الله محمّد بن أحمد بن أبي بكر، أحسن التّقاسيم في معرفة الأقاليم، ط٢، مطبعة بريل «ليدن- ١٩٠٩م»، ص١١٦.

(٦) البلاذري، أبو الحسن، فتوح البلدان، مراجعة وتعليق: رضوان محمّد رضوان، دار الكتاب العلمية «بيروت- ١٩٨٣م»، ص٢٧٥.

(٧) الجوهري، الصّحاح، ج٤، ص١٤٢٥.

(٨) ياقوت الحموي، معجم البلدان، مج٤، ج٧، ص١٦٠.

(٩) م. ن.

(١٠) البلاذري، فتوح البلدان، ص٢٧٥، الحموي، معجم البلدان، مج٤، ج٧، ص١٦٢.

(١١) ينظر: الجنابي، كاظم، مسجد الكوفة، دار الجمهورية «بغداد- ١٩٦٦م»، ص١٥.

(١٢) ابن الفقيه: مختصر كتاب البلدان، ص١٥٤.

(١٣) للتفاصيل ينظر: البلاذري، فتوح البلدان، ص٢٧٧.

يا حبذا مقالنا بالكوفة

أرض سواء سهلة معروفة

تعرفها جمالنا المعلوفة[١٤]

لم تكن الكوفة معروفة قبل تمصيرها، من حيث الموقع والتّسمية، إذ كانت أرضاً خالية من السّكان[١٥] توجد فيها بضع المعالم المقدسة القديمة[١٦] والدّيرات[١٧]، تقع محاذية لنهر الفرات من جهة الغرب، وإلى شمال شرق مدينة الحيرة[١٨]، وبين الحيرة والكوفة لسان من الرّمل يقترب عمودياً من نهر الفرات يسمى الملطاط[١٩]، وما كان يلي الطّين منه فهو النّجف[٢٠]، وعلى حافة البادية توجد مسلحة الغرض منها حراسة جسر الزّوارق المنصوب على الفرات آنذاك، والّذي كان يؤدي للجادة المنتهية إلى طيسفون[٢١]، وفيما بعد وصلت إلى مدينة بغداد[٢٢].

(١٤) ابن الفقيه، مختصر كتاب البلدان، ص١٥٤، ياقوت الحموي، معجم البلدان، مج٤، ج٧، ص١٦٠.

(١٥) الزّبيدي، محمّد حسين، الحياة الاجتماعية والاقتصادية في الكوفة في القرن الأوّل الهجري، المطبعة العالمية «القاهرة- ١٩٧٠م»، ص٢١، الموسوي، مصطفى عبّاس، العوامل التّاريخية لنشأة وتطور المدن العربية الإسلامية، دار الرّشيد للنشر «بغداد- ١٩٨٢م»، ص٨٢.

(١٦) كان بيت النّبي نوح(عليه السلام)، ومتعبد النّبي إدريس(عليه السلام) من أبرز المعالم المقدسة، والّتي كانت موجودة في الكوفة قبل تمصيرها، للتفاصيل ينظر: ابن الفقيه، مختصر كتاب البلدان، ص١٦٢- ١٦٣، البراقي، حسين بن أحمد النّجفي، تاريخ الكوفة، تحقيق: محمّد صادق آل بحر العلوم، منشورات المطبعة الحيدرية «النّجف- ١٤٢٤هـ»، ص٣٨- ٤١.

(١٧) الطّبري، محمّد بن جرير، تاريخ الرّسل والملوك، تحقيق: محمّد أبو الفضل إبراهيم، ط٤، دار المعارف «القاهرة- ١٩٧٧م»، ج٤، ص٤١، الشّابشتي، أبو الحسن علي بن محمّد، الدّيارات، تحقيق: كوركيس عواد، مطبعة المعارف «بغداد- ١٩٥١م»، ص١٥٠، ص١٥٢، ص١٥٧، ص١٥٩.

(١٨) الحيرة: مدينة تبعد عن الكوفة ثلاثة أميال على موضع يقال له النّجف، ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، مج٢، ج٣، ص٢٠١، الأصطخري، أبو إسحاق إبراهيم بن محمّد الفارسي، مسالك الممالك، مطبعة بريل «ليدن- ١٩٣٧م»، ص٨٣.

(١٩) البلاذري، فتوح البلدان، ص٢٧٧، الطّبري، تاريخ ج٤، ص٤٢، ما يلي ساحل نهر الفرات يسمى الملطاط، للتفاصيل ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، مج٤، ج٨، ص٣١٥.

(٢٠) النّجف: موضع يقع بظهر الكوفة تمنع مسيل الماء أن يعلو الكوفة، ينظر: ياقوت الحموي: معجم البلدان، مج٤، ج٨، ص٣٧٦.

(٢١) وهي مدينة كسرى الّتي فيها الإيوان، تقع على الضّفة الشّرقية لنهر دجلة، بينها وبين مدينة بغداد ثلاثة فراسخ، للتفاصيل ينظر: البلاذري، فتوح البلدان، ص٢٧٤، ياقوت الحموي، معجم البلدان، مج٣، ج٦، ص٢٧٧، أبي الفداء، تقويم البلدان، ص٣٠٣.

(٢٢) ماسينيون، لويس، خطط الكوفة وشرح خريطتها، ترجمة: تقي محمّد المصعبي، تحقيق: كامل سلمان الجبوري، مطبعة الغري الحديثة «النّجف- ١٩٧٩م»، ص٢٨.

اتخذت الكوفة معسكراً للجيش العربي الإسلامي لسببين هما:

الأوّل: لعل الاستراتيجية العسكرية الّتي اقتضتها طبيعة الفتوح الإسلامية لبلاد فارس بعد تحرير أرض السّواد في عهد الخليفة عمر بن الخطاب «١٣- ٢٣هـ/ ٦٣٤- ٦٤٣م» كانت من أهم الأسباب الّتي دفعت الجيش الإسلامي المحارب للبحث عن نقطة ارتكاز له أو معسكر ثابت قريب من ميدان القتال[١] فكتب الخليفة إلى سعد بن أبي وقاص «١٧- ٢٢هـ/ ٩٣٨- ٦٤٢م»[٢]، أن يتخذ للمسلمين دار هجرة وقيروانـاً[٣]، ولعل اتساع قوام الجيش الإسلامي الفاتح في أرض السّواد بشكل كبير على أثر معركة القادسية «١٤هـ- ٦٣٤م»[٤] كان عاملاً مشجعاً للكثيرين للالتحاق بقوى الفتوح لما أفاء الله على الجيش من الأموال والغنائم والمكاسب[٥]، الأمر الّذي دفع قادة الفتوح إلى التّفكير بجدية لتأسيس معسكرات للجند، وقد وقع الاختيار على الكوفة، مستندين بذلك إلى توجيهات الخليفة عمر الّذي كتب إلى قائده سعد بن أبي وقاص أن يختار موضعاً مناسباً لهم وأن لا يجعل بينه وبينهم بحراً ولا جسراً[٦].

الثّاني: للعامل الجغرافي أثر كبير في عملية تأسيس الكوفة وذلك بسبب الاختلاف الّذي شعر به أفراد الجيش الإسلامي الفاتح بعد توغله في أرض السّواد بين بيئة الجزيرة الّتي خرجوا منها، والبيئة الّتي خرجوا إليها، وما نتج عن ذلك من ضعف قوة الجند وحيويتهم[٧]، وكان ذلك واضحاً عندما كتب الخليفة إلى سعد حيث قال له: «أنبئني ما الّذي غير ألوان العرب ولحومهم»[٨]، وقد أضاف الدّكتور الحكيم[٩] عاملين آخرين هما: العامل التّاريخي والعامل الفكري، مؤكداً أنّ الكوفة كانت وريثاً تاريخياً لمدينة الحيرة.

اتفقت أغلب الرّوايات التّاريخية أنّ تمصير الكوفة حدث في سنة «١٧هـ- ٦٣٨م» في عهد الخليفة عمر بن الخطاب[١٠]، وذلك عندما فرغ قائده سعد بن أبي وقاص من واقعة القادسية، توجه إلى المدائن، وفي طريقه صالح أهل روميه[١١]، ثمّ حرر المدائن[١٢] واستقر فيها، وأصبحت مقراً ومعسكراً لانطلاق حملات الجيش الإسلامي[١٣]، إلا إنّ مناخ المنطقة لم يكن ملائماً للاستقرار فيه حيث اصفرت وجوه المقاتلة وتغيرت ألوانهم[١٤]، وقد لاحظ الخليفة عمر بن الخطاب ذلك من خلال أحوال الوفد الّذي أرسله سعد إلى المدينة[١٥]، فكتب إلى سعد أن ابعث سلمان بن ربيعة الباهلي[١٦]، وحذيفة بن

(١) يوسف، خليف، حياة الشّعر في الكوفة إلى نهاية القرن الثّاني للهجرة، دار الكاتب العربي «القاهرة- ١٩٦٨م»، ص٢١، زيادة، نقولا، تموين الجيوش العربية الإسلامية أثناء الفتوح بلاد الشّام، المؤتمر الدّولي الرّابع لتاريخ بلاد الشّام، بلاد الشّام في صدر الإسلام، النّدوة الثّانية، تحرير: محمّد عدنان وإحسان عبّاس، مطبعة الجامعة الأردنية «عمان- ١٩٧٨م»، مج٢، ص١٦٩- ١٧٠.

(٢) اسم أبيه: ملك بن أهيب بن عبد مناف بن كلاب بن مرة ويكنى أبا إسحاق، أسلم وهو ابن السّابعة عشر في بدايات الإسلام، شهد بدراً وأحداً والخندق والحديبية وخيبر وفتح مكة، وشهد المشاهد كلّها مع رسول الله(ﷺ) ولاه عمر وعثمان الكوفة، توفي بالمدينة سنة «٥٥هـ»، للتفاصيل ينظر: ابن سعد، محمّد، الطّبقات الكبرى، راجعه وعلق عليه: سهيل كيالي، دار الفكر «بيروت- ١٩٩٤م»، ج٢، ص١٣٦- ١٤٥.

(٣) البلاذري، فتوح البلدان، ص٢٧٤، الطّبري، تاريخ، ج٣، ص٥٧٩، القيروان: معظم العسكر، والقافلة، والجماعة، ينظر: ابن منظور، لسان العرب، ج٥، ص١٢٥.

(٤) وهي معركة بين الفرس والمسلمين بقيادة سعد بن أبي وقاص وبين الفرس في أيّام الخليفة عمر، حدثت في منطقة تسمى القادسية، والقادسية مدينة صغيرة ذات نخيل ومياه وهي على حافة الصّحراء، بينها وبين الكوفة خمسة فراسخ، للتفاصيل ينظر: أبي الفداء، عماد الدّين إسماعيل بن محمّد بن عمر، تقويم البلدان، دار الطّباعة السّلطانية «باريس- ١٨٥٠م»، ص٣٩٩، إبراهيم، محمّد أبو الفضل، والبجاوي، علي محمّد، أيّام العرب في الإسلام، ط١، دار الجيل «بيروت- ١٩٨٨م»، ص٢٣١ وما يليها.

(٥) قسم سعد بن أبي وقاص الفئ الّذي أصيب بالمدائن بين النّاس، فأصاب الفارس اثنا عشر ألفاً، للتفاصيل ينظر: الطّبري، تاريخ، ج٤، ص٢٠.

(٦) البلاذري، فتوح البلدان، ص٢٧٥، الطّبري، تاريخ، ج٤، ص٤١.

(٧) الزّبيدي، الحياة الاجتماعية، ص٢٣، خليف، حياة الشّعر، ص٢٣.

(٨) الطّبري، تاريخ، ج٤، ص٤١، ابن خلدون، عبد الرّحمن، العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيّام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السّلطان الأكبر، مطبعة دار إحياء التّراث العربي «بيروت- ١٩٧١م»، ج٢، ق٢، ص١١٠.

(٩) حسن عيسى، الكوفة من الجامع إلى الجامعة، المؤتمر العلمي الثّالث، دور الكوفة في التّراث العربي الإسلامي، جامعة الكوفة، كلية الفقه، ١٩٨٨م، مجلد١، ص١٧.

(١٠) البلاذري، فتوح البلدان، ص٢٧٤، الطّبري، تاريخ، ج٤، ص٤٢، ابن خلدون، العبر، ج٢، ق٢، ص١١١.

(١١) وهي بالمدائن بنيت وسميت باسم الملك الرّوماني رومي بن لنطي، للتفاصيل ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، مج٢، ج٤، ص٤٤٥.

(١٢) للتفاصيل ينظر: البلاذري، فتوح البلدان، ص٢٧٤.

(١٣) آل خليفة، محمّد علي، أمراء الكوفة وحكامها، مراجعة وتنقيح: الدّكتور ياسين صلواتي، مطبعة أسوة «طهران- ٢٠٠٤م»، ص٣٣- ٣٤.

(١٤) ابن خلدون، العبر، ج٢، ق٢، ص١١٠، الجنابي، كاظم، تخطيط مدينة الكوفة عن المصادر التّاريخية والأثرية، تقديم: الدّكتور أحمد فكري، مطابع دار الجمهورية «بغداد- ١٩٦٧م»، ص٢٤.

(١٥) أرسل سعد بن أبي وقاص وفداً إلى الخليفة عمر بخصوص الفتوح، فلما رآهم سألهم عن تغير حالهم، فقالوا: وخومة البلاد غيرتنا، للتفاصيل ينظر: ابن الأثير، عز الدّين أبو الحسن علي الشّيباني، الكامل في التّاريخ، دار صادر «بيروت- ١٩٦٥م»، مج٢، ص٥٢٧.

(١٦) سلمان بن ربيعة بن يزيد بن عمرو بن سهم بن ثعلبة بن غنم بن قتيبة بن معن بن مالك بن أعصر بن مضر، ولاه الخليفة عمر بن الخطاب قضاء الكوفة، قتل في غزوة بلنجر سنة «٣٠هـ» في عهد الخليفة عثمان بن عفان، للتفاصيل ينظر: ابن سعد، الطّبقات الكبرى، ج٤، ص٣٧٤.

اليمان[١] -وكانا رائدي الجيش- فسار سليمان في غرب الفرات لا يرضى شيئاً حتّى وصل الكوفة، وسار حذيفة في شرق الفرات لا يرضى شيئاً حتّى وصل الكوفة، فأعجبتهما البقعة[٢].

ويذكر أيضاً أنّ المسلمين بعد انتصارهم في يوم جلولاء[٣]، قدم عليهم عمار بن ياسر[٤] فخرج بهم إلى المدائن، فكرهوا المقام فيها، فقال عمار: «هل تصلح بها الإبل؟ قالوا: لا، إنّ بها البعوض، قال: قال عمر: إنّ العرب لا تصلح بأرض لا تصلح بها الإبل، فخرج عمار بالنّاس حتّى نزل الكوفة»[٥].

إنّ اهتمام المسلمين ببناء المساجد وما لها من قدسية كبيرة في أنفسهم، كان له الأثر الكبير في بداية تخطيط الكوفة، حيث أنّ أوّل ما تم تخطيطه هو المسجد، وقد أصبح هذا المسجد منذ اللحظة الأولى لتأسيسه هو المركز الدّيني والرّوحي والسّياسي والاجتماعي[٦] والثّقافي في الكوفة ومحط أنظار جميع المسلمين[٧].

(١) حسيل بن جابر بن ربيعة بن عمرو بن جروة بن الحارث بن قطيعة بن عبس، يكنى أبا عبد الله، وهو من كبار أصحاب رسول الله(ﷺ)، وقد شهد جنازة السّيدة فاطمة الزّهراء(عليها السلام)، وصلى على جثمانها الطّاهر، ولي المدائن في عهد الخليفة عثمان بن عفان، توفي بالمدائن بعد مقتل الخليفة عثمان بن عفان بأشهر، سنة «٣٦هـ»، للتفاصيل ينظر: ابن سعد، الطّبقات، ج٥، ص٣١٢، الرّيشهري، محمّد، موسوعة الإمام علي بن أبي طالب(عليه السلام) في الكتاب والسّنة والتّاريخ، تحقيق: مركز بحوث دار الحديث، دار الحديث للطباعة والنّشر «قم- ١٤٢١هـ»، مج١٢، ص٩٦.

(٢) الطّبري، تاريخ، ج٤، ص٤١.

(٣) واقعة حدثت سنة «١٦هـ» بين المسلمين والفرس، وسميت بهذا الاسم نسبة إلى بلدة تدعى جلولاء، وهي: طسوج من طساسيج أرض السّواد في طريق خراسان بينها وبين خانقين سبعة فراسخ، قسم سواد العراق إلى ستين طسوجاً، وينقسم كلّ طسوج إلى عدة من القرى، والفرسخ يساوي ثلاث أميال، للتفاصيل ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، مج١، ج١، ص٣٩-٤٠، مج٢، ج٣، ص٧٠، إبراهيم، أيّام العرب، ص٢٩٠- ١٩١.

(٤) عمار بن ياسر بن عامر بن ملك بن كنانة، يكنى أبا اليقظان، أمّه سمية بنت خياط أوّل شهيدة بالإسلام، شهد مع الرّسول(ﷺ) المشاهد كلّها، وكان من أصحاب الإمام علي(عليه السلام) المخلصين، شهد معه كلّ حروبه، استشهد في واقعة صفين في سنة «٣٧هـ»، للتفاصيل ينظر: ابن سعد، الطّبقات، ج٢، ص٢١٧- ٢٣١.

(٥) الطّبري، تاريخ، ج٤، ص٤١.

(٦) إنّ أوّل شيء خط في الكوفة هو المسجد وكان اختياره في موضع في وسط المدينة، ليتيسر لعامة المسلمين أداء الفرائض أو الاتصال بالوالي، فكان له هيبة وتعظيم، وكأنّه كيان مستقبل عن المدينة، ينظر: شلاش، عبد المحسن، الكوفة ويوم التّاج، «الاعتدال» مجلة، النّجف الأشرف، العدد السّابع، كانون الأوّل ١٩٣٤م، ص٢٩٤- ٢٩٦، الجنابي، الدّكتور كاظم، مسجد الكوفة، دار الجمهورية «بغداد- ١٩٦٦م»، ص١٦.

(٧) الزّبيدي، الحياة الاجتماعية، ص٢٨.

قام السّائب بن الأقرع الثّقفي[٨] وأبو الهياج بن مالك الأسدي[٩] بخط المسجد بأمر من سعد بن أبي وقاص[١٠]، الّذي كلف رجلاً شديد الرّمي، فرمى من مركز الأرض المخصص للمسجد أربع أسهم إلى الأربع جهات، فأعلم على مواقعها، فحيث سقط سهمه بنى النّاس منازلهم[١١]، ثمّ عمر دار الأمارة وبيت المال مقابل محراب المسجد[١٢]، وكان المسجد متصلاً بدار الأمارة وبيت المال، أي أنّ المسجد ودار الأمارة وبيت المال كانت كلّها تؤلف جزءاً من أجزاء المدينة، له كيانه الخاص المستقل به[١٣]، وكان المسجد مربع الشّكل متسع الرّقعة وقد اختط ليتسع لأربعين ألف مصلي، وكان هذا عدد المقاتلة في الكوفة يومها[١٤].

كان المسجد لا يحتوي على مجنبات ولا مواخير، وبنيت له مظلة في مقدمه[١٥]، وكانت ظلته مئتي ذراع على أساطين رخام كانت للأكاسرة[١٦]، وعلموا على الصّحن بخندق لئلا

(٨) السّائب بن الأقرع بن عوف بن جابر بن سفيان بن سالم بن مالك، أدرك الرّسول(ﷺ)، شهد فتح نهاوند مع النّعمان بن مقرن، وكان الخليفة عمر بعثه بكتابه إلى النّعمان بن مقرن، ثمّ استعمله الخليفة على المدائن، للتفاصيل ينظر: الأنصاري، أبو عبد الله بن محمّد بن جعفر بن حبان، طبقات المحدثين بأصبهان والواردين عليها، تحقيق: عبد الغفور البلوشي، ط٢، مطبعة مؤسسة الرّسالة «بيروت- ١٩٩٢م»، ج١، ص٣٠٢- ٣٠٣.

(٩) عمرو بن مالك بن جنادة بن سفيان بن وهب بن كعب بن أسد بن خزيمة، روى عن الإمام علي بن أبي طالب(عليه السلام)، ينظر: ابن سعد، الطّبقات، ج٤، ص٤٣٤، ابن خياط، أبو عمرو خليفة شباب العصفوري، الطّبقات، حققه وقدم له: أكرم ضياء العمري، مطبعة العاني «بغداد- ١٩٦٧م»، ص١٤١.

(١٠) ابن الفقيه، مختصر كتاب البلدان، ص١٥٤.

(١١) كان على المخطط أن يرضي الكتلتين الرّئيسيتين، اليمنية، والعدنانية «النّزارية» عند التّوزيع حيث أنّ المنطقة الشّرقية القريب من نهر الفرات هي الأفضل، فرأى أن يقترع بينهما، ينظر: البلاذري، فتوح البلدان، ص٢٧٥، جعيط، هشام، الكوفة نشأة المدن العربية الإسلامية، دار الطّليعة «بيروت- ١٩٩٣م»، ص٩٢- ٩٤، الملحق رقم «١».

(١٢) الطّبري، تاريخ، ج٤، ص٤٤، ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل الدمشقي، البداية والنّهاية، وثقه وقابل مخواطاته: علي محمّد معوض وعادل أحمد عبد الموجود، ط٢، دار الكتب العلمية «بيروت- ٢٠٠٣م»، مج٤، ج٧، ص٧٣، الملحق رقم «٢».

(١٣) الجنابي، تخطيط الكوفة، ص٧٣- ٧٤.

(١٤) ياقوت الحموي، معجم البلدان، مج٤، ج٧، ص١٦١.

(١٥) الطبري، تاريخ، ج٤، ص٤٤، ويبدو أنّ المسجد حين خط لم يكن له سور يحميه حتّى أنّ الجالس فيه يرى كل ما يحدث خارج المسجد، للتفاصيل ينظر: الطبري، تاريخ، ج٤، ص٤٤، البكري، عبد الرّحمن أحمد، من حياة عمر بن الخطاب، مطبعة الإرشاد «بيروت- بلات»، ص١٦٠.

(١٦) الطبري، تاريخ، ج٤، ص٤٥، الظلة: هي غطى وستر من الحر الشّديد والمطر، للتفاصيل ينظر: الطريحي، فخر الدّين، مجمع البحرين، تحقيق: أحمد الحسيني، ط٢، مطبعة الثّقافة الإسلامية «قم- ١٤٠٨هـ»، ج٣، ص٩٠، جلبوا المسلمين الرّخام من الحيرة الّتي بناءها الأكاسرة، ينظر: الطبري، تاريخ، ج٤، ص٤٥.

يقتحمه أحد ببنيان[١] ويرى الدّكتور الجنابي[٢] أنّ الخندق المشار إليه ليس بالمعنى المعروف، بل هو عبارة عن حائط بسيط أو حائل ترابي، الغرض منه إبعاد المباني عن المسجد.

شهد مسجد الكوفة تطوراً في ولاية المغيرة بن شعبة «٤١- ٥٠هـ/ ٦٦١- ٦٧٢م»[٣]، إذ قام بتوسيع المسجد وترميمه[٤]، ويذكر ياقوت الحموي[٥] أنّ القبائل بنت في زمن المغيرة باللبن والآجر من غير ارتفاع، ولما ولي زياد بن أبيه «٥٠- ٥٣هـ/ ٦٧٠- ٦٧٢م»الكوفة زاد في سعة المسجد عشرين ذراعاً، وصار يتسع لستين ألف مصل[٦]، وقد كلفه ذلك مالاً كثيراً، إذ أنفق على كل أسطوانة من أساطين مسجد الكوفة مائة وثمانية عشر درهماً[٧]، وقام أيضاً ببناء سور له، ثم تسقيفه[٨]، وفرش أرضيته بالحصى، واتخذ مقصورة في المسجد، وقد جددت على عهد الوالي خالد بن عبد الله القسري «١٠٥- ١٢٠هـ/ ٧٢٣- ٧٣٧م»[٩].

أنّ من أبرز السّمات الّتي امتاز بها الجيش الإسلامي الفاتح لأرض السّواد وكان لها أثر مهم في تخطيط الكوفة الاجتماعي هي:

- كان نظام الجيش قبلياً، لسهولة إدارته والسّيطرة عليهم[١٠] وذلك بسبب اختلاف المستويات العقائدية[١١] والفكرية[١٢] والثّقافية[١٣].

- وجود عائلات المقاتلين ضمن الرّقعة الجغرافية للجيش، وذلك لبعد المسافة بين الموطن الأصلي للعائلات والأرض الّتي يقاتل فيها هؤلاء المقاتلون[١٤].

فرضت السّمات على مخطط المدينة أن يراعي التّركيبة الاجتماعية لهؤلاء المقاتلين[١٥] بما يضمن الاستقرار والهدوء بين هذه القبائل والمجاميع الّتي تختلف من حيث الانتماء والعادات والتّقاليد، وحتّى في أسباب وجودها في هذه المنطقة[١٦]، أما العوائل فقد ساعدت بشكل كبير في عملية التّحول التّدريجي لتمدن الكوفة، الّتي تتمتع بوجود جميع مقومات الحياة المستقرة كوجود الأراضي الصّالحة للزراعة[١٧]، والمياه العذبة والطّقس المعتدل[١٨].

وبناء على ما تقدم يبدو إنّ هذه السّمات فرضت على المخطط تخصيص وحدة سكن مستقلة لكل قبيلة نزلت

(١) الطبري، تاريخ، ج٤، ص٤٥.

(٢) تخطيط الكوفة، ص١١١.

(٣) ابن أبي عامر بن مسعود بن متعب بن عوف بن ثقيف، ويكنى أبا عبد الله، من دهاة العرب، اسلم سنة «٨هـ»، شاهد الحديبية، وفتح اليمامة، وفتوح الشّام، ولاه الخليفة عمر البصرة ثم عزله عنها، ثم ولاه الكوفة وعزله الخليفة عثمان، وولاه معاوية الكوفة حتّى مات بها سنة «٥٠هـ»، للتفاصيل ينظر: ابن سعد، الطّبقات، ج٤، ص٣٠١.

(٤) البلاذري، فتوح البلدان، ص٢٧٥.

(٥) معجم البلدان، مج٤، ج٧، ص١٦١.

(٦) م. ن.

(٧) البلاذري، فتوح البلدان، ص٢٧٥.

(٨) البلاذري، فتوح البلدان، ص٢٧٥- ٢٧٦، الطبري، تاريخ، ج٤، ص٤٦.

(٩) البلاذري، فتوح البلدان، ص٢٧٥، خالد بن عبد الله بن يزيد بن أسد بن كرز بن عامر القسري البجلي، وكنيته: أبو القاسم، يماني الأصل، من أهل دمشق، ولي مكة سنة «٨٩هـ» للوليد بن عبد الملك، ثم ولاه هشام بن عبد الملك الكوفة والبصرة سنة «١٠٥هـ»، وفي سنة «١٢٠هـ» اتهم بالزندقة، فعزله وولي مكانه يوسف بن عمر الثقفي، وأمره أن يحاسب خالد، فسجنه بالحيرة وعذبه حتّى قتله سنة «١٢٦هـ»، للتفاصيل ينظر: الزركلي، خير الدّين، الأعلام، ط٥، دار العلم للملايين «بيروت- ١٩٨١م»، ج٢، ص٢٩٧- ٢٩٨.

(١٠) مصطفى، شاكر، المدن في الإسلام حتّى العصر العثماني، ذات السّلاسل «الكويت- ١٩٨٨»، ج١، ص٣٢١.

(١١) الحسيني، محمّد جابر عبد العادل، حركات الشّيعة المتطرفين وأثرهم في الحياة الاجتماعية والأدبية لمدن العراق، دار المعرفة «القاهرة- ١٩٦٧م»، ص١٨.

(١٢) كان الخليفة أبو بكر الصّديق «١١- ١٣هـ/ ٦٣٢- ٦٣٤م» لا يستعين في حروبه بأحد من أهل الرّدة، الّذين ارتدوا عن الدّين الإسلامي بعد وفاة الرّسول(ﷺ)، إلا أنّ الخليفة عمر استعان بهم في الجيش الّذي حرر أرض السّواد، للتفصيل ينظر: الطبري، تاريخ، ج٤، ص٢٥، مصطفى، المدن في الإسلام، ج٢، ص٣٠٧.

(١٣) العبادي، محمّد، الإمام علي(عليه السلام) وتنمية ثقافة أهل الكوفة، مطبعة توحيد «قم- ١٣٨١هـ»، ص٢٠.

(١٤) المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين بن علي، مروج الذّهب ومعادن الجواهر، دار الكتاب العربي «بغداد- ٢٠٠٤م»، ج٢، ص٣٣٦، معروف، ناجي، المدخل في تاريخ الحضارة العربية، مطبعة العاني «بغداد- ١٩٦٠م»، ص٤٢.

(١٥) اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب بن الواضح الكاتب، كتاب البلدان، دار أحياء التّراث العربي «بيروت- ١٩٨٨م»، ص٧٤.

(١٦) كان الفرس أول الوافدين إلى الكوفة بعد جند القبائل العربية الّتي يتكون منها الجيش الفاتح، ويسمون جند شهأ نشاه، وأطلق عليهم العرب اسم ديلم الحمراء، ويبلغ عددهم أربعة آلاف، للتفاصيل ينظر: البلاذري، فتوح البلدان، ص٢٧٩.

(١٧) أنّ استواء الأراضي في الكوفة وما فيها من التواءات، سهل عملية امتلاء الترع وساعد في تبديل مجرى الأنهار، فتطورت الزّراعة بشكل كبير، حيث جبى الخليفة عمر بن الخطاب أرض السّواد فكان مائة ألف ألف وثمانية وعشرون ألف درهم، للتفاصيل ينظر: ابن خرداذبة، أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله، المسالك والممالك، وضع مقدمته وهوامشه وفهارسه، الدكتور محمّد مخزوم، دار إحياء التّراث العربي «بيروت- ١٩٨٨م»، ص٢٧، ابن حوقل، أبو القاسم النصيبي، صورة الأرض، دار مكتبة الحياة «بيروت- بلات»، ص٢١١، العلي، صالح أحمد، منطقة الكوفة دراسة طبوغرافية مستندة إلى المصادر الأدبية، «مجلة سومر»، تصدرها مديرية الآثار العامة «بغداد- ١٩٦٥م»، مج٢١، ج١، ص٢٣١.

(١٨) ابن الفقيه، مختصر كتاب البلدان، ص١٥٥، الاصطخري، مسالك الممالك، ص٨٢.

الكوفة[١]، وتوزيع المناهج والسّكك الخاصة والعامة[٢] الّتي تفصل بين القبائل، بشكل دقيق، بما يضمن الابتعاد عن التّنازع والصّراع بين القبائل، والّتي تعتبر هي الأساس السّكاني في خطط الكوفة.

كانت المساكن في الكوفة عبارة عن خيام كبيرة موزعة توزيعاً عسكرياً[٣] ثم تطور إلى البناء بالقصب وانتهت بموافقة الخليفة عمر الاضطرارية[٤] بالبناء بالطين واللبن[٥]، إذ جاءت موافقة الخليفة عمر وفيها شيء من التّحذير الواضح، إذ قال للوفد الّذي بعثه سعد بن أبي وقاص للحصول على الموافقة للبناء باللبن: «افعلوا، ولا يزيدن أحدكم على ثلاثة أبيات، ولا تطاولوا في البنيان، والزموا السّنة تلزمكم الدّولة»[٦].

أن تخوف الخليفة عمر من تطور البناء في الكوفة سببه الخشية من تحول حياة أفراد الجيش من حياة العسكرية والخشونة والتّقشف إلى حياة التّرف والنّعومة والسّكون والّتي هي طبيعة البشر عندما ينزلون المدن والأمصار[٧] وبالخصوص إذا علمنا أنّ جمال الكوفة كان يسترعي أنظار جميع من نزل فيها[٨]، وهنا يتبين أنّ الخليفة كان يسعى جاهداً لتحقيق فكرة إنشاء المعسكرات الثّابتة الّتي تسند حركات الجيش الفاتح في هذه الكوفة الفتية، إلا أنّ هذه القبائل وقفت نداً لهذه الفكرة من خلال طلباتهم المتكررة لتطوير واقع الكوفة الّتي أرادوها مدينة لهم، وذلك لحاجتهم الماسة إلى مرحلة استقرار بعد أن أدركوا أنّ الحياة المدنية هي شيء آخر مختلف عن تلك الحياة البدوية الّتي كانت تتسم بالقسوة في كل جوانبها، فقد دب في نفوسهم شعور جديد لا يستطيعون تجاهله، ذلك الشّعور يسمى المدينة، ومن هنا بدأت تظهر ظاهرة جديدة، إذ تحولت الحياة القبلية إلى حياة قبلية تؤمن بالمدينة نستطيع أن نسميها التّأقلم[٩].

قام سعد بن أبي وقاص بتخطيط منازل الكوفة، إذ وزعت القبائل[١٠] على أساس نظام الأعشار[١١] الّذي أمر به الخليفة عمر عند خروج الجيش من الجزيرة قبيل معركة القادسية[١٢]، ولكن الزّيادة الكبيرة لقوام الجيش، واختلاف الأجناس والدّيانات للمستوطنين في الكوفة[١٣] كان دافعاً قوياً جداً لسعد أن يكتب إلى الخليفة عمر ليحصل على موافقته لتعديل نظام الأعشار[١٤]، فكتب إليه الخليفة عمر يوافقه على ذلك[١٥]، فجعل سعد القبائل سبع مجموعات قبلية معتمداً على أساس النّسب والحلف[١٦].

لقد أورد الطّبري[١٧] توضيحاً شرح فيه كيفية توزيع القبائل في الأسباع، وهو على النّحو الآتي:

(١) للتفاصيل ينظر: الطبري، تاريخ، ج٤، ص٤٥، الملحق رقم «١».

(٢) الطبري، تاريخ، ج٤، ص٤٥، الملحق رقم «٢»، المنهج: هو الخط الفاصل بين تصفيف الخيام ويعتبر كحدود فاصلة بين صفوف المخيمات الواقعة في خطط القبائل، وهي الطّرق الرّئيسية، وقد بلغ عددها خمسة عشر منهجاً: للتفاصيل ينظر: ماسينيون، خطط الكوفة، ص٦٣.

(٣) ماسينيون، خطط الكوفة، ص٣٧، وزعت القبائل توزيعاً عسكرياً يتألف من سبعة أفواج، كل فوج يضم قسماً من محلاتها المعروفة باسم قبائلها، البراق، تاريخ الكوفة، ص١٦٢.

(٤) أنّ الخليفة عمر لم يكن راغباً رغبة صادقة في سكنى العرب في المدن واتخاذهم بيوتاً، ولكنه لم يستطيع الوقوف أمام هذه الرّغبة الجامحة، ينظر: الزّبيدي، الحياة الاجتماعية، ص٢٦، خليف، حياة الشّعر، ص٢٥.

(٥) الطبري، تاريخ، ج٤، ص٤٤، ابن خلدون، العبر، ق٢، ج٢، ص١١١.

(٦) الطبري،، تاريخ، ج٤، ص٤٤.

(٧) ابن خلدون، عبد الرّحمن، المقدمة، حجر عاصي، دار ومكتبة الهلال «بيروت- ١٩٨٨م»، ص٢١٧.

(٨) للتفاصيل ينظر: الاصطخري، مسالك الممالك، ص٨٣، الجنابي، مسجد الكوفة، ص١٥.

(٩) الزبيدي، الحياة الاجتماعية، ص٥٧- ٥٨.

(١٠) نزل أهل اليمن الجانب الأيسر «الجانب الشّرقي» للمسجد، وصارت خطط نزار في الجانب الأيمن «الجانب الغربي» للمسجد، فتوزعت القبائل كالآتي: سليم، وثقيف، وهمدان، وبجيلة، وتميم اللات، وتغلب في شمال المسجد، وفي جنوبه توزعت قبائل بني أسد، والنّخع، وكنده، والأزد، وفي شرقه كانت قبائل الأنصار، ومزينة، وتميم، ومحارب، وأسد، وعامر، أما في غربه فتوزعت قبائل بجله، وجديلة، وجهينة، وأخلاط من النّاس، للتفاصيل ينظر: البلاذري، فتوح البلدان، ص٢٧٥، الطّبري، تاريخ، ج٤، ص٤٥.

(١١) ويعني تجمع الأفراد في عشر وحدات، اعتماداً الطّرق العشرية أي عشرة، مائة، ألف، وفي كل وحده عدد متساوي من المقاتلين، ينظر: جعيط، هشام، الكوفة، ص٢٩٩.

(١٢) للتفاصيل ينظر: الطبري، تاريخ، ج٣، ص٤٨٨.

(١٣) هاجر بني تغلب ومن أطاعهم من نمر وإياد بأمر من الخليفة عمر، فنزلوا الكوفة، وكان نفر من هؤلاء غير مسلمين، وكان الدّافع لاستيطان غير المسلمين هو ثراء الجيش وتدفق الأموال عليه، ينظر: ابن الأثير، الكامل، مج٢، ص٥٢٧، محمّد، الكوفة، ص١٢، جعيط، الكوفة، ص٥٥.

(١٤) اقتبس هذا النّظام من النّسق الفارسي، ويعتمد على التّجمع في عشر وحدات، أي عشرة، ومائة، وألف، وفي كل وحدة عدد متساوي من المقاتلين، وقد أمر الخليفة عمر سعداً أن يستخدم هذا النّظام في منطقة شراف، قبل دخول معركة القادسية، وشراف تقع بين واقصة والرقرعاء على ثمانية أميال من الإحساء الّتي لبني وهب، للتفاصيل ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، مج٣، ج٥، ص١٣٥، جعيط، الكوفة، ص٢٩٩.

(١٥) كتب الخليفة عمر إلى سعد: «إذا جاء كتابي هذا فعشر النّاس وعرف عليهم وأمر أجنادهم وعبئهم ومر رؤوساء المسلمين فليشهدوا ثم وجهم إلى أصحابهم وواعدهم القادسية»ـ وعلى ما يبدو أنّ هذا النّظام استخدم سنة «١٥هـ»، أي قبل تمصير الكوفة بعامين، ينظر: الطبري، تاريخ، ج٣، ص٤٨٨.

(١٦) استعانة سعد بقوم من نساب العرب وذوى رأيهم وعقلائهم منهم سعيد بن نمران ومشعلة ابن نعم، فعدلوهم على الأسباع، ينظر: الطبري، تاريخ، ج٤، ص٤٨، والملحق رقم «١».

(١٧) تاريخ، ج٤، ص٤٨، والملحق رقم «٣».

١- كنانة وحلفاؤها من «الأحابيش» وجديلة سبع.

٢- قضاعة وغسان بجيلة وخثعم وكندة وحضرموت والأزد سبع.

٣- مذحج وحمير وهمدان سبع.

٤- تميم ورباب وهوازن سبع.

٥- أسد ومحارب والنّمر وغطفان وتغلب وصبيعة سبع.

٦- إياد وعك وعبد قيس وحمراء سبع.

ويظهر أنّ الطّبري لم يذكر في تاريخه أي تفاصيل تخص السّبع السّابع، وأكد ماسينيون[١] أنّ هذا السّبع لم يذكر في جميع المصادر التّاريخية، إلا أنّه رجح أن يكون هذا السّبع مؤلفاً من طيء.

ظلت الكوفة على هذا التّقسيم القبلي طيلة أيام الخليفة عمر بن الخطاب والخليفة عثمان بن عفان، حتّى أيام الإمام علي(عليه السلام)، ففي معركة الجمل سنة «٣٦هـ/ ٦٥٦م» أبقى التّقسيم سباعياً، إلا أنّه غير في توزيع القبائل على الأسباع، حيث ذكر الطبري[٢] هذه الأسباع على النّحو التّالي:

١- قريش وكنانة وأسد والرباب ومزينة سبع.

٢- قيس عيلان سبع.

٣- بكر بن وائل وتغلب سبع.

٤- مذحج والأشعريين سبع.

٥- بجيلة وأنمار وخثعم والأزد سبع.

ولم يذكر الطبري تفاصيل عن السّبعين الباقين، ومن خلال الاطلاع على التّقسيم القبلي الّذي أورده الدينوري[٣]، يمكننا معرفة السّبعين المحذوفين، وهما: سبع همدان، وسبع طيء.

ويذكر كل من المنقري[٤]، والثّقفي[٥]، وابن أبي الحديد[٦] أسباع الكوفة في معركة الجمل والنّهروان على النّحو التّالي:

١- همدان وحمير سبع.

٢- مذحج والأشعريين سبع.

٣- قيس وعبد القيس سبع.

٤- كندة وحضرموت وقضاعة سبع.

٥- الأزد وبجيلة وخثعم والأنصاروخزاعة سبع.

٦- تميم وضبة والرّباب وقريش وكنانة وأسد سبع.

٧- طيء سبع.

يبدو أنّ سبب التّغير في الأسباع عائد إلى زيادة تدفق القبائل العربية على الكوفة خلال خلافة الإمام علي بن أبي طالب(عليه السلام).

ومما لا شك به أنّ نظام الأسباع الّذي طبق من سنة «١٥-٥٠هـ» قد حقق أهداف الدّولة في تقليل الاحتكاك بين القبائل لفترة من الزّمن.

في ولاية زياد بن أبيه سنة «٥٠هـ/ ٦٧٠م» على الكوفة، تم استبدال نظام الأسباع بنظام الأرباع، وأصبح على النّحو التّالي[٧]:

الرّبع الأوّل: أهل العالية «أهل المدينة».

الرّبع الثّاني: تميم وهمدان.

الرّبع الثّالث: ربيعة «بكر» وكندة.

الرّبع الرّابع: مذحج وأسد.

وهنا نلاحظ أنّ التّقسيم الجديد اعتمد بالأساس على المزج بين القبيلتين الرّئيسيتين: اليمنية والنّزارية[٨]، مبتعداً عن صلات النّسب والحف بين القبائل، سعياً إلى تخفيف من تلك العصبية القبلية الّتي امتازت بها تلك القبائل منذ زمن بعيد، حرصاً منه على سلامة ولايته الكوفة، وقد ظل هذا النّظام الرّباعي معمولاً به حتّى زوال شأن الكوفة، وانحطاطها في أوائل القرن الرّابع الهجري[٩].

إنّ القادة الّذين وجّههم الخليفة أبو بكر الصّديق والخليفة عمر بن الخطاب إلى فتح العراق والشّام[١٠]، كان كلّ واحد منهم

(١) خطط الكوفة، ص٤٨.

(٢) الطبري، تاريخ، ج٤، ص٥٠٠.

(٣) ذكر الدينوري نظام الأسباع، إلا أنّه ذكر تفاصيل ثمانية أسباع على النّحو الآتي: همدان وحمير سبع، مذحج والأشعريين سبع، طي سبع، قيس وعبس وذبيان سبع، كندة وبجيلة وخثعم وقضاعة سبع، بكر بن وائل وتغلب وربيعة سبع، سائر قريش والأنصار وغيرهم من أهل الحجاز سبع، للتفاصيل ينظر: الدينوري، أبو حذيفة أحمد بن داود، الأخبار الطّوال، تحقيق: عبد المنعم عامر، مطبعة أمير «قم- ١٤١٢هـ»، ص١٤٦- ١٤٧.

(٤) المنقري، نصر بن مزاحم، واقعة صفين، تحقيق: عبد السّلام محمّد هارون، ط٢، المؤسسة العربية الحديثة للطبع والنّشر «القاهرة- ١٣٨٢هـ»، ص١١٧- ١١٨.

(٥) الثّقفي، إبراهيم بن محمّد بن سعيد الكوفي، الغارات، تحقيق: جلال الدّين المحدث، مطبعة بهمن «قم- بلات»، ج١، ص٥١- ٥٢.

(٦) ابن أبي الحديد، عز الدّين أبي حامد عبد الحميد بن هبة الله المدائني، شرح نهج البلاغة، تحقيق: محمّد أبو الفضل إبراهيم، دار الكتاب العربي «بغداد- ٢٠٠٥م»، مج٢، ج٣، ص١٥١.

(٧) ينظر: الطّبري، تاريخ، ج٤، ص٤٨، ماسينيون، خطط الكوفة، ص٦١.

(٨) أهل العالية أعوان طبيعيون للولاة القرشيين منذ زمن سعد بن أبي وقاص، وكانوا في الرّبع الأوّل، أمّا في الرّبع الثّاني فكانت تميم وهي نزارية وهمدان وهي يمنية، والرّبع الثّالث فهو مزيج من بكر النّزارية وكندة اليمنية، ومذحج اليمنية وأسد النّزارية كانا مزيج في الرّبع الرّابع، ينظر: ماسينيون، خطط الكوفة، ص٤٣- ٤٦، الملحق رقم «١».

(٩) ماسينيون، خطط الكوفة، ص٦٢.

(١٠) المجدلاوي، فاروق، الإدارة الإسلامية في عهد عمر بن الخطاب، تقديم: أحمد شلبي، ط٢، مطبعة روائع «عمان- ١٩٨٨م»، ص٨٣.

يولى على الأرض الّتي يفتحها، وعلى الرّغم من اتساع الدّولة العربية الإسلامية «نتيجة الفتوحات الإسلامية»، واستحداث أقسام إدارية جديدة، وإنشاء الدّواوين في أيّام الخليفة عمر إلا أنّ هذا النّظام ظل ساري المفعول، فقد عين سعد بن أبي وقاص أوّل والٍ على الكوفة، وبذلك يكون سعد قد فتح أوّل صفحة من تاريخ مدينة الكوفة السّياسي، وبقي والياً عليها حتّى سنة «٢١هـ/ ٦٤١م»[١].

بقيت الكوفة على حالها شبيهة ببقية الأمصار الّتي استحدثها المسلمون في جميع البلدان الّتي وصلت إليها الفتوح الإسلامية، حتّى وطأت قدما الإمام علي بن أبي طالب(عليه السلام) ترابها، فتشرفت الكوفة بقدومه، وكان ذلك من أعظم أحداث الكوفة الّتي غيرت مجرى التّاريخ، فازدادت علواً وازدهاراً، وتعاظم شأنها، وأصبحت مركزاً للعلم والأدب والفكر[٢].

المبحث الثّاني:

لمحات تاريخية عن نشأة التّيار العلوي في الكوفة حتّى سنة «٣٥هـ»:

ساهم الشّيعة إيجابياً في أغلب الأحداث السّياسية البارزة للأمة الإسلامية، وكان لهم الأثر المتميز في بناء حضارتها، بمساهماتهم الدّينية والفكرية والعمرانية، وظلت الشّيعة طوال العصور تتصدر سائر الفرق والجماعات والتّيارات الإسلامية[٣]، وكان من نتائج هذا التّيار دول إسلامية عظمى، منها: دولة الأدارسة «١٨٧- ٣٣٨هـ/ ٨٠٣- ٩٤٩م» الّتي نشرت الإسلام في المغرب العربي وأسست الجامعات والمدارس وحضرت أهل البوادي والجبال، ودولة العلويين «٢٥٠- ٣١٦هـ/ ٨٦٤- ٩٢٨م» والّتي يرجع لها الفضل في إسلام بلاد الدّيلم، والخلافة الفاطمية «٢٩٦- ٥٦٧هـ/ ٩٠٩- ١١٧١م» الّتي يفتخر كلّ مسلم بحضارتها وبدوره العالمي، ولازالت مدينة القاهرة وجامع الأزهر يشهدان على أمجادها، ودول أخرى شاركت بشكل أو بآخر برفد الإنسانية بالحضارة والعلوم والفكر[٤].

(١) البلاذري، فتوح البلدان، ص٢٧٧، اليعقوبي، أحمد بن إسحاق بن وهب بن واضح البغدادي، تاريخ اليعقوبي، علق عليه: خليل المنصور، دار الاعتصام «بلا- ١٤٢٥هـ»، ج٢، ص١٠٧، الخطيب البغدادي، أبو بكر بن علي، تاريخ بغداد أو دار السّلام، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية «بيروت- ١٩٩٧م»، ج١، ص١٥٥.

(٢) العلي، صالح أحمد، منطقة الكوفة، «مجلة سومر»، مج٢١، ج١، ص٢٣٠.

(٣) الليثي، سميرة مختار، جهاد الشّيعة، ط٢، دار الجيل «بيروت- ١٩٧٨م»، ص١٣، ص١٤.

(٤) للاطلاع على تفاصيل هذه الدّول الشّيعية والدّول الأخرى ينظر: مغنية، محمّد جواد، الشّيعة في الميزان، مؤسسة صدر الخلائق «النّجف الأشرف- ١٤٢٤هـ»، ص١٢٨ وما بعدها.

الشّيعة لغة: هم القوم الّذين يجتمعون على أمر[٥]، وتعني «المشايعة والموالاة والمناصرة»[٦]، وتعني أيضاً «الأنصار والأتباع»[٧]، وقد وردت لفظة «الشّيعة» في القرآن الكريم تحمل نفس المعنى اللغوي المذكور، إذ قال الله عز وجل: ﴿**ثُمَّ لَنَنْزِعَنَّ مِنْ كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَنِ عِتِيًّا**﴾[٨]، و﴿**وَإِنَّ مِنْ شِيعَتِهِ لَإِبْرَاهِيمَ**﴾[٩].

ذهب العلماء والباحثون إلى تعريف الشّيعة «اصطلاحاً» حسب اعتقادهم بعدة تعريفات منها: الشّيعة هم الّذين يعتقدون أنّ علياً(عليه السلام) أفضل النّاس بعد رسول الله(صلى الله عليه وآله)، وأحقهم بالإمامة «الخلافة» وولده من بعده، ومن وافق ذلك فهو شيعي وإن خالفهم فليس شيعياً[١٠]، وعرفهم ابن كرامه[١١] بأنّهم الّذين شايعوا علياً(عليه السلام)، واعتقدوا أنّ الإمامة لا تخرج عنه وعن أولاده(عليهم السلام)، فإن خرجت فإمّا بظلم يكون من غيرهم، وإمّا ببيعة منه أو من أولاده، أصولهم ثلاث فرق: الإمامية، والزّيدية، والغلاة[١٢]، وعرفهم صاحب كتاب الملل والنّحل[١٣]: بأنّهم الّذين شايعوا

(٥) ابن منظور، العرب لسان، ج٨، ص١٨٨.

(٦) الفيروز آبادي، مجد الدّين محمّد بن يعقوب، القاموس المحيط، إعداد وتقديم: محمّد عبد الرّحمن المرعشلي، ط٢، دار إحياء التّراث العربي «بيروت- ٢٠٠٣م»، ص٦٧٩.

(٧) الرّازي، محمّد بن أبي بكر بن عبد القادر، مختار الصّحاح، دار الرّسالة «الكويت- ١٩٨٣م»، ص٣٥٣، الزّبيدي، محب الدّين أبي الفيض محمّد مرتضى الحسيني، تاج العروس من جواهر القاموس، مكتبة الحياة «بيروت- بلات»، ج٥، ص٤٠٥.

(٨) سورة مريم، الآية «٦٩»، الطّبري، أبو جعفر محمّد بن جرير، جامع البيان عن تأويل أي القرآن، ضبط وتوثيق وتخريج: صدقي جميل العطار، دار الفكر «بيروت- ١٩٩٥م»، ج١٦، ص١٣٥.

(٩) سورة الصّافات، الآية «٨٣»، الحاكم النّيسابوري، محمّد بن محمّد، مستدرك الحاكم، تحقيق: الدّكتور يوسف المرعشلي، دار المعرفة «بيروت- ١٩٨٦م»، ج٢، ص٢٣٠.

(١٠) ابن حزم، أبو محمّد علي الأندلسي الظّاهري، الفصل والملل والأهواء والنّحل، المطبعة الأدبية «القاهرة- ١٣١٧هـ»، ج٢، ص١١٣.

(١١) شرف الدّين بن سعيد المحسن، تنبيه الغافلين عن فضائل الطّالبين، تحقيق: تحسين آل شبيب الموسوي، مركز الغدير للدراسات الإسلامية «بيروت- ٢٠٠٠م»، ص٣٤، البروجردي، علي أصغر بن محمّد شفيع الجابلقي، طرائف المقال في معرفة طبقات الرّجال، تحقيق: مهدي رجائي، مطبعة بهمن «قم- ١٩٩٠م»، ج٢، ص٢٣١.

(١٢) الإمامية: هم القائلون بإمامة الإمام علي(عليه السلام) بعد النّبي(صلى الله عليه وآله) نصاً ظاهراً، وتعييناً صادقاً، والزّيدية: هم أتباع زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب(عليه السلام)، لم يجوزوا الإمامة في غير أولاد فاطمة(عليها السلام)، والغلاة: هم الّذين غلوا في حق أئمتهم حتّى أخرجوهم من حدود الخليقية، وحكموا فيهم بأحكام الإلهية، للتفاصيل ينظر: الشّهرستاني: محمّد بن عبد الكريم، الملل والنّحل، تخريج: محمّد بن فتح الله بدران، ط٢، مكتبة الأنجو «القاهرة- ١٩٥٦م»، ج١، ص١٣٧ وما بعدها.

(١٣) الشّهرستاني، ج١، ص١٣١.

علياً(عليه السلام) على الخصوص، وقالوا بإمامته وخلافته نصاً ووصية، إمّا جلياً وإمّا خفياً، والإمامة: هي ركن الدّين لا يجوز للرسل إغفاله وإهماله، وهكذا يكون قد اجتمع العلماء والباحثون على أنّ علياً(عليه السلام) هو الإمام من بعد الرّسول(صلى الله عليه وآله) وولده من بعده.

اختلفت آراء المؤرخين والمفكرين والمستشرقين في بداية نشأة التّشيع[١]، والرّاجح أنّ التّشيع بدأ فيعهد الرّسول(صلى الله عليه وآله)[٢]، وأنّ الرّسول(صلى الله عليه وآله) هو الّذي بناه ورعاه، ثمّ دعمه وقوّمه في المجتمع الإسلامي الفتي بالأحاديث الشّريفة الّتي تدل على رفعة مكانة الإمام علي(عليه السلام) عند الله عز وجل[٣]، ورسوله(صلى الله عليه وآله)[٤]، والمؤمنين[٥]، وقد جاءت هذه الأحاديث مترجمة لشخصية الإمام علي(عليه السلام) المتميزة، ومواقفه الرّيادية الّتي دعمت مسيرة الإسلام منذ نزول الوحي ولغاية استشهاده، لذلك أصبح محط إعجاب المؤمنين، وفي مقدمتهم الرّسول(صلى الله عليه وآله)[٦].

(١) كانت أبرز آرائهم في نشأة التّشيع على النّحو التّالي: نشأ في عهد الرّسول(صلى الله عليه وآله)، نشأ أيّام السّقيفة بعد وفاة الرّسول(صلى الله عليه وآله)، نشأ بعد مقتل الخليفة عثمان بن عفان، نشأ في أو بعد معركة الجمل، نشأة بعد مقتل الإمام الحسين(عليه السلام)، للتفاصيل ينظر: فياض، الدّكتور عبد الله، تاريخ الإمامية وأسلافهم من الشّيعة منذ نشأة التّشيع حتّى مطلع القرن الرّبع الهجري، ط٢، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات «بيروت- ١٩٧٥م»، ص٣٥- ٣٨، الشّيبي، الدّكتور كامل مصطفى، الصّلة بين التّصوف والتّشيع، ط٢، دار المعارف «القاهرة- ١٩٦٩م»، ص١٧- ١٨.

(٢) ينظر: البراق، أحمد بن محمّد خالد، رجال البراق، التّحقيق: جواد القيومي الأصفهاني، مؤسسة النّشر الإسلامي «قم- ٢٠٠٢م»، ص٣٣.

(٣) قال الله عز وجل: ﴿إِنَّما وَلِيُّكُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكاةَ وَهُمْ راكِعُونَ﴾ و﴿إِنَّما يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ﴾، ينظر: سورة المائدة الآية «٥٥»، سورة الأحزاب الآية «٣٣»، الطّبري، جامع البيان، ج٦، ص٣٨٩- ٣٩٠، ج٢٢، ص٩، الرّجس: تعني الأعمال القبيحة والمآثم، ينظر: ابن منظور، لسان العرب، ج٦، ص٩٥.

(٤) للتفاصيل ينظر: ابن هشام، عبد الملك بن أيوب الحميري، السّيرة النّبوية، تحقيق: مصطفى السّقا وآخرون، دار الكتب العلمية «بيروت- ٢٠٠٥م»، ص٥٢٨، ابن شاذان، محمّد بن أحمد بن علي القمي، مئة منقبة من مناقب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب والأئمّة من ولده(عليهم السلام)، تحقيق: نبيل رضا، ط٣، مطبعة الصّدر «قم- ١٤٢٢هـ»، ص٤٥ وما بعدها.

(٥) الكوفي، محمّد بن سليمان القاضي، مناقب الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب(عليه السلام)، تحقيق: محمّد باقر المحمودي، مجمع إحياء الثّقافة الإسلامية «قم- ١٤١٢هـ»، ج١، ص١٢٢ وما بعدها، الطّائي، نجاح، السّيرة النّبوية، دار الهدى لإحياء التّراث «بيروت- ٢٠٠٢م»، ج١، ص٩٠ وما بعدها، ج٢، ص٥٢ وما بعدها.

(٦) عن ابن عبّاس أنّه قال: لقد سبق لعلي(عليه السلام)، سوابق لو أنّ سابقة منها قسمت على النّاس لوسعتهم خيراً، للتفاصيل ينظر: البيهقي، إبراهيم بن محمّد، المحاسن والمساوئ، مطبعة شريعت «قم- ١٤٢٣هـ»، ص٤٥- ٤٧، ابن جبر، زين الدّين علي بن يوسف، نهج الإيمان، تحقيق: أحمد الحسيني، مطبعة ستارة «قم- ١٤١٨هـ»، ص٢٩٥ وما بعدها، الوردي، الدّكتور علي، وعاظ السّلاطين، ط٢، دار كوفان للنشر «بيروت- ١٩٩٥م»، ص١٨٢- ١٨٨.

وبناء على ما تقدم أصبح للإمام(عليه السلام) أصحاب وأتباع ومحبون، وهنا يمكننا أن نسمي هذه المرحلة بمرحلة نشوء التّيار العلوي، وكانت أحداث مؤتمر السّقيفة[٧]، وما بعدها من أحداث، هي الحافز الحقيقي لتبلور التّيار، وظهوره على سطح الإحداث.

بدأ التّشيع ينتشر في المدن والأمصار الجديدة، وكانت الكوفة أوّل مركز نمت فيه وترعرعت عقيدة التّشيع، وتطورت بين ربوعه[٨]، ولعل ذلك يرجع إلى:

١- توافد أصحاب الإمام(عليه السلام) إلى الكوفة والاستقرار فيها منذ تأسيسها[٩]، الأمر الّذي أدى إلى نشر أفكار التّيار بين النّاس، وخصوصاً أنّ أصحاب الإمام(عليه السلام)، وفيهم من عظماء أصحاب الرّسول(صلى الله عليه وآله) الّذين يتصفون بكثرة العلم والحكمة الّتي اكتسبوها من الرّسول(صلى الله عليه وآله) والإمام(عليه السلام)، فكان لشخصياتهم هيبة ومكانة كبيرة، ولكلامهم صدى في قلوب المسلمين[١٠].

٢- إنّ أغلب القبائل الّتي استقرت في الكوفة هي يمانية الأصل[١١]، وكان لهذه القبائل دراية مسبقة بشخصية الإمام وإنسانيته وعدالته ومساواته بين الرّعية.

نزلت الكوفة مجموعة كبيرة من صحابة الرّسول(صلى الله عليه وآله)[١٢] أيّام الخليفة عمر بن الخطاب، كعمار بن ياسر «أحد الأركان الأربعة الّذين كانوا شيعة الإمام علي(عليه السلام) على عهد الرّسول(صلى الله عليه وآله) وكان التّشيع قائماً بهم»[١٣]، الّذي نزل الكوفة مع

(٧) قال في ذلك عتبة بن أبي لهب:

ما كنت أحسب أنّ الأمر منصرف ... عن بني هاشم ثمّ منهم عن أبي الحسن
عن أوّل النّاس إيماناً وسابقه ... وأعلم النّاس بالقرآن والسّنن
وآخر النّاس عهداً بالنّبي من ... جبريل عون له في الغسل والكفن

للتفاصيل ينظر: أبو الفداء، عماد الدّين إسماعيل بن علي بن محمود بن شاهنشاه أيوب، تاريخ أبي الفداء، علق عليه: محمود ديوب، دار الكتب العلمية «بيروت- ١٩٩٧م»، ج١، ص٢١٩، ابن خلدون، العبر، ج٣، ص١٧١.

(٨) فياض، تاريخ الإمامية وأسلافهم، ص١٧٤.

(٩) نزل صحابة الإمام علي(عليه السلام) الكوفة لسببين أولهما: تكليفهم بمهام رسمية، فنزلونها كفاتحين أو أمراء أو قضاة أو عمال للخليفة، وثانيهما: نزلوها لطيب طقسها وعذوبة مائها ووفرة خيراتها، للتفاصيل ينظر: ابن الفقيه، مختصر كتاب البلدان، ص١٥٧.

(١٠) الغفاري، عبد الرّسول عبد الحسن، الكليني والكافي، مؤسسة النّشر الإسلامي «قم- ١٤١٦هـ»، ص٤٣- ٥٤.

(١١) ماسينيون، خطط الكوفة، ص٥٣، الملحق رقم «٣».

(١٢) دخل الكوفة ثلاثمئة من أصحاب الشّجرة وسبعون من أهل بدر، ينظر: ابن سعد، الطّبقات، ج٤، ص٢٩٤.

(١٣) وهم: سلمان بن الإسلام، وأبو ذر الغفاري، والمقداد بن عمرو، وعمار بن ياسر، وكان هؤلاء من صحابة رسول الله(صلى الله عليه وآله) المقربين جداً له، للتفاصيل ينظر: البراق، رجال، ص٢٩، الخرسان، طالب، نشأة الشّيعة، مطبعة أمير «قم- ١٩٩١م»، ص١٢٩.

الفاتحين، ثمّ أصبح والياً عليها من قبل الخليفة عمر بعدما عزل واليها الأسبق سعد بن أبي وقاص، حيث بعث الخليفة عمر لأهل الكوفة كتاباً يبين لهم فيه صفات كلّ من عمار بن ياسر، وعبد الله بن مسعود[١]، وعثمان بن حنيف الأنصاري[٢]، ومهامهم، إذ جاء فيه: «إنّي بعثت إليكم عمار بن ياسر أميراً وابن مسعود معلماً ووزيراً، وقد جعلت ابن مسعود على بيت مالكم، وإنّهما من النّجباء من أصحاب محمّد(ﷺ) من أهل بدر، فاسمعوا لهما وأطيعوا واقتدوا بهما، وقد آثرتكم بابن أمّ عبد على نفسي وبعثت عثمان بن حنيف على السّواد»[٣].

ومن صحابة الرّسول(ﷺ) الّذين نزلوا الكوفة البراء بن عازب الأنصاري[٤]، وأخوه عبيد بن عازب[٥]، وهو أحد الأنصار العشرة الّذين وجههم الخليفة عمر بن الخطاب مع عمار بن ياسر إلى الكوفة[٦]، وعروة بن أبي الجعد البارقي[٧]، الّذي تولى القضاء في الكوفة، وحذيفة بن اليمان[٨]، وكان هؤلاء الصّحابة والأصفياء[٩] يعرفون أهمية الإمام علي(عليه السلام) في الخلافة والإمرة، ويعترفون بفضله، وسابقته في الإسلام، وعلمه، ومناقبه، وشجاعته، لهذا كان جلهم يميلون إليه ويتشيعون له، ولما دخلوا الكوفة بثوا ما يعرفونه عن الإمام(عليه السلام) بين صفوف الجند من قبائل مضر واليمن وربيعة وثقيف وهوازن[١٠].

يبدو أنّ نجاح هؤلاء الصّحابة في نقل هذه المفاهيم وزرعها في مجتمع الكوفة الجديد يرجع إلى منزلتهم الدّينية والعلمية العظيمة الواضحة عند كلّ مسلم، والّتي لا يشك بها أحد، فهم دعاة الإسلام[١١]، وقراء القرآن ومعلميه[١٢]، ورواة حديث الرّسولا(ﷺ)[١٣]، فهم المثل الأعلى للمسلمين، هذه المنزلة جعلت لهم شأناً وتقديراً واحتراماً بين النّاس، مما سهل عليهم غرس تلك المفاهيم العلوية في الكوفة، هذا من جانب ومن جانب آخر، المهام الإدارية الّتي اعتلاها بعض هؤلاء الصّحابة في الكوفة في عهد الخليفة عمر بن الخطاب[١٤]، الأمر

(١) عبد الله بن مسعود بن غافل بن حبيب بن شمخ بن فار بن تميم بن سعد بن هذيل بن مدركة، دخل الإسلام قبل دخول الرّسول(ﷺ) دار الأرقم، هاجر إلى المدينة، شهد بدراً، وشهد أحد والخندق، والمشاهد كلّها مع الرّسول(ﷺ)، توفي بالمدينة ودفن البقيع سنة «٣٢هـ»، للتفاصيل ينظر: ابن سعد، الطّبقات، ج٢، ص١٤٥- ١٥٣، العجلي، أحمد بن عبد الله الكوفي، معرفة الثّقات، تحقيق: عبد العليم عبد العظيم البستوي، مكتبة الدّار «المدينة المنورة- ١٩٨٥م»، ج٢، ص٦٠- ٦١.

(٢) عثمان بن حنيف بن وهب بن عكيم بن ثعلبة بن الحارث بن عمرو الأنصاري، يكنى أبا عبد الله، شهد أحد ومشاهد بعدها، واستعمله الخليفة عمر بن الخطاب على مساحة سواد أرض العراق، واستعمله الإمام علي(عليه السلام) على البصرة، فبقي عليها إلى أن قدمها طلحة والزّبير مع عائشة في واقعة الجمل، فأخرجوه منها، فسكن عثمان الكوفة، وبقي حياً إلى زمن معاوية، للتفاصيل ينظر: ابن حبان، محمّد بن حبان بن أحمد أبي حاتم التّميمي البستي، كتاب الثّقات، مطبعة دائرة المعارف العثمانية «حيدر آباد- ١٩٧٣م»، ج٣، ص٢٦١، ابن الأثير، أسد الغابة، ج٣، ص٥٧٠- ٥٧١.

(٣) الطّبري، تاريخ، ج٤، ص١٣٩، الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج١، ص٣٩.

(٤) البراء بن العازب بن الحارث الأنصاري من بني حارثة بن الحارث بن الأوس، غزى مع الرّسول(ﷺ) خمس عشر غزوة، واستصغره الرّسول(ﷺ) يوم بدر، وأجازه يوم الخندق وهو ابن خمس عشرة سنة، وشهد الجمل وصفين والنّهروان مع الإمام علي(عليه السلام)، توفي في الكوفة سنة «٧١هـ»، للتفاصيل ينظر: ابن سعد، الطّبقات، ج٤، ص٢٩٩، ابن الخياط، تاريخ، ق١، ص١٦١، الطّوسي، أبو جعفر محمّد بن الحسن بن علي، اختيار معرفة الرّجال، تحقيق: مهدي الرّجائي، مطبعة بعثت «قم- ١٤٠٤هـ»، ج١، ص٢٤١- ٢٤٤.

(٥) أخو البراء بن عازب الأنصاري، يكنى أبا عمرو، وهو من الّذين شهدوا للإمام علي(عليه السلام) بحديث الغدير يوم المناشدة بالرّحبة، شهد مع الإمام علي(عليه السلام) مشاهده كلّها، توفي في الكوفة أيّام خلافة الإمام علي(عليه السلام)، للتفاصيل ينظر: ابن سعد، الطّبقات، ج٤، ص٢٩٩، ابن الأثير، أسد الغابة، ج٣، ص٥٣٧، الأميني، عبد الحسين أحمد النّجفي، الغدير في الكتاب والسّنة والأدب، ط٤، دار الكتاب العربي «بيروت- ١٩٧٧م»، ج١، ص٥٤.

(٦) ابن سعد، الطّبقات، ج٢، ص٢٥٨، ابن حجر، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، الإصابة في تميز الصّحابة، تحقيق: عادل أحمد وعلي محمّد، دار الكتاب العلمية «بيروت- ١٩٩٥م»، ج٤، ص٣٤٤.

(٧) نسبة إلى بارق بن عدي بن حارثة بن امرئ القيس بن ثعلبة بن مازن بن الأزد، وقيل له «بأرق» لأنّه نزل عند جبل اسمه «بارق» فنسب إليه، وعروة أوّل من تولى قضاء الكوفة في زمن الخليفة عمر بن الخطاب قبل شريح بن الحارث بن الكندي وسلمان بن ربيعة الباهلي، للتفاصيل ينظر: ابن سعد، الطّبقات، ج٤، ص٣٠٨، ابن الخياط، الطّبقات، ص١١٢، ص١٣٧، ابن كثير، أسد الغابة، ج٤، ص٢٥- ٢٦.

(٨) عده بعض المؤرخين من الأركان الأربعة الّذين كانوا شيعة الإمام علي(عليه السلام) على عهد الرّسول(ﷺ) وكان التّشيع قائماً بها، للتفاصيل ينظر: التّفرشي، مصطفى بن الحسين الحسيني، نقد الرّجال، تحقيق: مؤسسة آل البيت(عليهم السلام) لإحياء التّراث، مطبعة ستارة «قم- ١٤١٨هـ»، ج١، ص٤٠٨.

(٩) البراق، رجال، ص٣٣، الحلي، أبو المنصور الحسن بن يوسف بن المطهر الأسدي، خلاصة الأقوال في معرفة الرّجال، تحقيق: جواد القيومي، مؤسسة النّشر الإسلامي «قم- ١٤١٧هـ»، ص٣٠٦.

(١٠) الغفاري، الكليني والكافي، ص٤١.

(١١) الأميني، الغدير، ج١، ص١٨٥.

(١٢) ينظر: ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج٣٣، ص٩٦، الطّبرسي، ميرزا حسين النّوري، مستدرك الوسائل ومستنبط المسائل، تحقيق: مؤسسة آل البيت(عليهم السلام) لإحياء التّراث، ط٢، مؤسسة آل البيت(عليهم السلام) لإحياء التّراث «بيروت- ١٩٨٧م»، ج٤، ص٢٥٥.

(١٣) بعث الخليفة عمر رهطاً من الأنصار إلى الكوفة، وقال لهم: «أنّكم تأتون قوماً لهم أزيز بالقرآن فيقولون قدم أصحاب محمّد(ﷺ) فيأتونكم فيسألونكم عن الحديث فأقلوا الرّواية عن رسول الله(ﷺ) وأنا شرككم»، للتفاصيل ينظر: الدّارمي، محمّد عبد الله بن الفضل بن بهرم، سنن الدّارمي، مطبعة الاعتدال «دمشق- ١٣٤٩هـ»، ج١، ص٨٥، الطّوسي، محمّد بن الحسن بن علي، رجال الطّوسي، تحقيق: جواد القيومي، مؤسسة النّشر الإسلامي «قم- ١٤١٥هـ»، ص٢١ وما بعدها.

(١٤)ينظر: الطّبري، تاريخ، ج٤، ص١٣٩، البيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي، السّنن الكبرى، دار الفكر «بيروت- بلات»، ج٦، ص٣٥٤، ج٩، ص١٣٦.

الّذي ساعده في أن تكون كلمة هؤلاء الصّحابة هي العليا والحجة المثلى، فهم بمثابة القطب الّتي تدور عليه رحى الكوفة.

اندفعت القبائل العربية إلى أرض السّواد بشكل عام وإلى الكوفة بشكل خاص، وكانت تلك القبائل تتفاوت في مستوياتها الثّقافية والحضارية، وبشكل عام فإنّ الواقع السّكاني في الكوفة كان يتكون من عنصرين: أغلبية عربية جلهم يمانيون، وهؤلاء على جانب كبير من الحضارة إذا قيس بمستوى العرب الحضاري، فقد كانت قبائل همدان ومذحج وحمير متحضرة حقاً، من سكان المدن والقرى اليمنية، أمّا قبيلتي كندة وبجيلة فهي نصف متحضرة، وقد أثبت العنصر اليماني قدرته على تأسيس الثّقافة الإسلامية وعلى التّمدن والتّحضر[١]، أمّا الأقلية فهم من الفرس الّذين يطلق عليهم اسم الحمراء، وهؤلاء انضموا إلى الجيش العربي وسكنوا الكوفة مع العرب[٢]، وكانوا حلفاء لقبيلة عبد قيس[٣]، وكان الفرس على درجة معروفة من الحضارة[٤]، وهنا يمكننا القول أنّ أغلب العناصر الّتي نزلت الكوفة كانت تتمتع بدرجة كبيرة من الحضارة، الأمر الّذي ساعد أصحاب الإمام علي(عليه السلام)، وأتباعه، على نشر الأفكار العلوية فيها.

أسلمت أغلب هذه القبائل على يد الإمام علي(عليه السلام)، فهو المعلم الأوّل الّذي غرس قواعد الإسلام وتعاليمه في نفوسهم، وتحقق ذلك عندما بعث الرّسول(صلى الله عليه وآله) خالد بن الوليد[٥] إلى أهل اليمن، ليدعوهم إلى الإسلام، فعجز خالد عن ذلك، فبعث الرّسول(صلى الله عليه وآله) الإمام علياً(عليه السلام)[٦]، فبث الإسلام فيهم دون قتال، فأسلمت قبيلة همدان كلّها في يوم واحد[٧]، وكانت همدان أولى القبائل اليمانية إسلاماً[٨]، فكتب إلى الرّسول(صلى الله عليه وآله) بذلك، ويبدو أنّ رسالة الإمام(عليه السلام) قد تركت أثراً حسناً عند الرّسول(صلى الله عليه وآله)، إذ إنّه خر ساجداً ثمّ رفع رأسه، وقال(صلى الله عليه وآله): السلام على همدان السّلام على همدان[٩]، ومن ثم تتابع أهل اليمن على الإسلام[١٠].

سعى الإمام(عليه السلام) إلى إشاعة الأمن والطّمأنينة، ذلك عندما فوض له(عليه السلام) القضاء في اليمن[١١]، إذ دعا له الرّسول(صلى الله عليه وآله) بالثّبات في قضائه[١٢]، واستطاع الإمام(عليه السلام) ترسيخ مبادئ الإسلام الحنيف من خلال طبيعة الأحكام الّتي أصدرها أثناء جلوسه للقضاء بين اليمنيين، والّتي امتازت بالعدل والمساواة بين الرّعية[١٣]، ولعل ذلك أدى إلى ترسيخ مكانة الإمام(عليه السلام) في عقول أهل اليمن قبل قلوبهم، فكان لذلك الأثر الإيجابي في تفهمهم وتقبلهم للمفاهيم العلوية.

ويتضح مما تقدم أنّ القبائل اليمنية كانت على دراية مسبقة بالإمام وسماته، تكونت حصيلة المعيشة والتّجربة مع الإمام(عليه السلام)، وإذا ما جمعت النّتيجة الأولى مع الثّانية، يمكن لنا تفسير ظاهرة استقبال تلك القبائل اليمنية الّتي نزلت الكوفة ذات الكثافة العددية[١٤]، للأفكار العلوية، ومن ثم تكوين «نواة الشّيعة»، ألا وهي الكوفة الشّيعية، مركز الخلافة الإسلامية.

(١) ماسينيون، خطط الكوفة، ص٥٣، الملحق رقم «٣».

(٢) يبلغ عدد الحمراء أربعة آلاف مقاتل، ينظر: البلاذري، فتوح، ص٢٧٨، الطّبري، تاريخ، ج٤، ص٤٨.

(٣) ماسينيون، خطط الكوفة، ص٤٧- ٤٨.

(٤) ابن خلدون، العبر، ج١، ص١٧٤.

(٥) خالد بن الوليد بن المغيرة بن عبد الله بن عمير بن مخزوم، يكنى أبا سلمان، من فرسان قريش وأشدائهم، شهد مع المشركين بدراً وأحداً والخندق، أسلم بين يدي الرّسول(صلى الله عليه وآله) سنة «٨هـ»، أطلق عليه الرّسول(صلى الله عليه وآله) اسم «سيف الله»، اشترك في حروب الرّدة في أيّام الخليفة أبي بكر، توفي ودفن في الشّام سنة «٢١هـ»، للتفاصيل ينظر: ابن سعد، الطّبقات، ج٥، ص٣٥٢- ٣٥٤.

(٦) ينظر: البكجري، علاء الدّين مغلطاي بن قليج بن عبد الله الحنفي، الإشارة إلى سيرة سيدنا محمّد المصطفى(صلى الله عليه وآله)، تحقيق: آسيا كليبان علي باح، دار الكتب العلمية «بيروت- ٢٠٠٢م»، ص٢٥٠، الطّائي، السّيرة، ج٢، ص٢٧١- ٢٧٧.

(٧) الشّيبي، الصّلة بين التّصوف والتّشيع، ص٢٥٢.

(٨) الشّيبي، الصّلة بين التّصوف والتّشيع، ص٢٥٢.

(٩) ينظر: الشّافعي، محمّد بن إدريس، ألام، ط٢، دار الفكر «بيروت- ١٩٨٣م»، ج١، ص١٥٩، ابن شهر آشوب، محمّد بن علي، مناقب آل أبي طالب، تحقق: لجنة من أساتذة النّجف الأشرف، المطبعة الحيدرية «النّجف الأشرف- ١٩٥٦م»، ج١، ص٣٩٣، ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن كثير، السّيرة النّبوية، تحقيق: مصطفى عبد الواحد، دار المعرفة «بيروت- ١٩٧١م»، ج٤، ص٢٠٤.

(١٠) الطبري، تاريخ، ج٣، ص١٣٢، ابن خلدون، العبر، ق٢، ج٢، ص٥٥، الأحمدي، علي بن حسين علي الميانجي، مكاتيب الرّسول(صلى الله عليه وآله)، مطبعة دار الحديث «قم- ١٩٩٨م»، ج١، ص٢١١، ج٣، ص٣٦٩.

(١١) في عهد الرّسول(صلى الله عليه وآله) لم يتم إسناد مهمة قضائية بهذا الحجم خارج المدينة إلى غير الإمام علي(عليه السلام)، للتفاصيل ينظر: محمّد بن الحسن بن علي، المبسوط في فقه الأمامية، تحقيق: محمّد الباقر اليهودي، المطبعة المرتضوية «طهران- ١٣٨٧هـ»، ج٨، ص١٨٣، الحلي، الحسن بن يوسف بن المطهر، تذكرة الفقهاء، تحقيق: مؤسسة آل بيت(عليهم السلام) لإحياء التّراث، مؤسسة آل البيت(عليهم السلام) لإحياء التّراث «قم- ١٤١٤هـ»، ج٩، ص٤٤، شمس الدّين، محمّد مهدي، نظام الحكم والإدارة في الإسلام، ط٧، المؤسسة الدّولية للدراسات والنّشر «بيروت- ٢٠٠٠م»، ص٥٥٧- ٥٥٨.

(١٢) ابن حنبل، أحمد بن محمّد، مسند أحمد، دار صادر «بيروت- ١٤٠٨هـ»، ج١، ص٨٨، ص١٣٦، ابن سعد، الطّبقات، ج٢، ص٥، ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج٤٢، ص٣٨٨.

(١٣) قال الخليفة أبو بكر، قال رسول الله(صلى الله عليه وآله): «يا أبا بكر كفي وكف علي في العدل سواء»، للتفاصيل ينظر: الشّيخ المفيد، محمّد بن محمّد بن النّعمان البغدادي، الأمالي، تحقيق: الحسين الغفاري، المطبعة الإسلامية «قم- ١٤٠٢هـ»، ص٢٩٣، الطبري، عماد الدّين محمّد بن أبي القاسم، بشارة المصطفى، تحقيق: جواد القيومي، مؤسسة النّشر الإسلامي «قم- ١٤٢٠هـ»، ص٣٤١، ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج٤٢، ص٣٦٩.

(١٤) أهل اليمن الأكثرية في الكوفة، فقد بلغ عددهم عشرين ألفاً، للتفاصيل ينظر: البلاذري، الفتوح، ص٢٧٦.

ويذهب أحد الباحثين[١] إلى إرجاع سبب تشيع الكوفة، إلى تلك العاطفة الّتي يمتاز بها أهل اليمن، وجعلها السّبب الأوّل، مستنداً إلى حديث الرّسول(ﷺ): «أتاكم أهل اليمن هم أرق أفئدة وألين قلوباً الأيمان يمان والحكمة يمانية»[٢]، وإلا أننا لا نرى أي دور لهذه العاطفة عندما بعث الرّسول(ﷺ) خالد بن الوليد إلى اليمن يدعوهم إلى الإسلام، فأقام عليهم ستة أشهر لا يجيبونه إلى شيء[٣].

وبذلك تكون الكوفة أول مركز خارج الجزيرة العربية نمت وترعرعت فيه عقيدة التّشيع، لتكون ثمرة جهود مشتركة بذلها أولئك الصّحابة الّذين نقلوا بذور العقيدة، ورسخوا جذورها بين الكوفيين، فأينعت جهودهم وأتت ثمارها بين ظهرانيهم، فبدأ التّشيع يأخذ قراره فيها، وأصبحت الكوفة تميل إلى الإمام علي(عليه السلام) قبل أن يدخلها خليفة، أو يتخذها عاصمة للدولة العربية[٤].

وبشكل عام لم يكن للشيعة والتّشيع أيام خلافة أبي بكر الصّديق وعمر بن الخطاب مجال للظهور بشكل كبير يلفت الانتباه، وذلك لأنّ الإسلام كان يومئذ يجري على منهاجه القويم، حيث بذل الخليفة الأوّل والثّاني أقصى الجهد في نشر كلمة الحق والتّوحيد وتجهيز الجنود، وتوسيع الفتوح، ولم يستأثروا ولم يستبدوا، فبقي الشّيعة منضوين تحت جناح الإمام(عليه السلام)، فبايعوا وسالموا، وأغضوا عما يروه حقاً لإمامهم ولهم، محافظة على الإسلام أن تصدع وحدته، وتتفرق كلمته، ويعود النّاس إلى جاهليتهم الأولى[٥].

أما الخليفة عثمان بن عفان فقد شغلته الدّنيا[٦]، فكثرت أخطاؤه السّياسية والإدارية[٧]، فوجد الشّيعة فسحة للدعوة وتذكير النّاس بيوم الغدير[٨]، وأخذ بعض صحابة رسول الله(ﷺ) يجهرون بحب الإمام علي(عليه السلام)، ويحثون النّاس على التّشيع وعلى تربية أبنائهم على منهاجه القويم، وها هو جابر بن عبد الله الأنصاري[٩]، متكئاً على عصاه، وهو يدور في سكك الأنصار في المدينة، بين مجالسهم ويقول: «يا معشر الأنصار أدبوا أولادكم على حب علي بن أبي طالب»[١٠]، وعلى منواله نسج الصّحابي الجليل أبو ذر الغفاري[١١].

ويبدو أنّ صحابة رسول الله(ﷺ) كانوا يعتقدون أنّ الحكومة الإسلامية لا يحق لها بأي عذر أن تتهاون في إجراء الأحكام أجراء كاملاً، فواجب الحكومة الإسلامية هو أن تتخذ نطاق الشّريعة انسجاماً مع مقتضيات مصلحة المسلمين آنذاك، ولكن ما حدث من واقعة البيعة السّياسية، لدليل واضح على أنّ المدافعين عن الخلافة الانتخابية كانوا يعتقدون أنّ كتاب الله يجب أن يحفظ ويحتفظ به القانون، أما السّنة وأقوال

(١) الشبيبي، الصّلة بين التّصوف والتّشيع، ص٢٥٢.

(٢) ابن حنبل، مسند أحمد، ج٢، ص٢٣٥، البخاري، أبي عبد الله محمّد بن إسماعيل بن إبراهيم ابن المغيرة الجعفي، صحيح البخاري، دار الفكر «بيروت- ١٩٨١م»، ج٥، ص١٢٢، السيوطي، جلال الدّين عبد الرّحمن بن أبو بكر، الجامع الصّغير، دار الفكر «بيروت- ١٤٠١هـ»، ج١، ص١٦.

(٣) للتفاصيل ينظر: الطبري، تاريخ، ج٣، ص١٣١- ١٣٢، الحلي، رضي الدّين علي بن يوسف بن علي بن محمّد المطهر، العدد القوية المخاوف اليومية، تحقيق: مهدي الرجائي، مطبعة سيد الشّهداء(عليه السلام)«قم- ١٤٠٨هـ»، ص٢٥١، ابن خلدون، العبر، ق٢، ج٢، ص٥٥.

(٤) ينظر: الغفاري، الكليني والكافي، ص٤٠.

(٥) كاشف الغطاء، محمّد الحسين، أصل الشّيعة وأصولها، ط١٤، ناشرون بلا حدود «النّجف الأشرف- بلات»، ص٨٦.

(٦) قال معاوية بن أبي سفيان: «إما عثمان فأصاب منها وأصابت منه»، ويعني «الدّنيا»، للتفاصيل ينظر: ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج٤٤، ص٢٨٦- ٢٨٧.

(٧) للتفاصيل ينظر: الشهرستاني، علي، وضوء النّبي(ﷺ)، مطبعة ستاره «قم- ١٤١٥هـ»، ج١، ص٧٧- ٩٢، الطبطبائي، محمّد حسين، الشّيعة في الإسلام، مطبعة ستاره «قم- ١٩٩٩م»، ص٣٨.

(٨) ينظر: المظفر، محمّد حسين، تاريخ الشّيعة، مكتبة بصرتي «قم- بلات»، ص١٤، الغدير: نسبة إلى غدير خم، وهو غدير معروف يقع بين مكة والمدينة بالجحفة، ويوم الغدير: هو اليوم الّذي خطب فيه الرّسول(ﷺ) في حجته الّتي حجها، فقال: «من كنت مولاه، اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه»، للتفاصيل ينظر: اليعقوبي، تاريخ، ج٢، ص٧٦، الكليني، محمّد بن يعقوب بن إسحاق الرازي، الأصول من الكافي، تحقيق: علي أكبر الغفاري، مطبعة حيدري «طهران- ١٣٨٨هـ»، ج١، ص٢٩٤، ابن الأثير، أسد الغابة، ج١، ص٤٩٢- ٤٩٤، ابن منظور، لسان العرب، ج٧، ص٣٧٩، ج١٢، ص١٩١.

(٩) جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرم بن كعب بن غنم بن كعب، وهو آخر من بقي حياً من صحابة رسول الله(ﷺ)، شهد معه بدراً، وثمانية عشر غزوة، وشهد صفين مع الإمام علي(عليه السلام)، وهو من أصحاب الإمام علي(عليه السلام)، والإمام الحسن(عليه السلام)، والإمام الحسين(عليه السلام)، والإمام علي بن الحسين السّجاد(عليه السلام)، والإمام محمّد بن علي الباقر(عليه السلام)، توفى بالمدينة سنة «٧٨هـ»، للتفاصيل ينظر: الكليني، ج١، ص٤٦٩، ابن الأثير، أسد الغابة، ج١، ص٤٩٢- ٤٩٤.

(١٠) الصّدوق، محمّد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي، من لا يحضره الفقيه، تحقيق: علي الغفاري، ط٢، مطبعة جماعة المدرسين «قم- ١٤٠٤هـ»، ج٣، ص٤٩٣، الطوسي، اختيار معرفة الرّجال، ج١، ص٢٣٧، المجلسي، محمّد باقر، بحار الأنوار، ط٢، مؤسسة الوفاء «بيروت- ١٩٨٣م»، ج٣٨، ص٦- ٧.

(١١) للتفاصيل ينظر: الهلالي، سليم بن قيس، كتاب سليم بن قيس الهلالي، تحقيق: محمّد باقر الأنصاري، ط٢، مطبعة نكارش «قم- ١٤٢٤هـ»، ص٤٥٨، جندب بن جنادة بن كعيب بن الواقعة بن حرام بن غفار بن خزيمة بن مدركه بن اليأس بن مضر، أسلم والنّبي(ﷺ) في مكة، ثم انصرف إلى بلاد قومه فأقام بها حتّى قدم عام الحديبية بعد أن مضت بدر، واحد، والخندق، نفاه الخليفة عثمان إلى الربذة، فتوفى ودفن فيها سنة «٣٢هـ»، للتفاصيل ينظر: ابن سعد، الطّبقات، ج٣، ص١٥٤- ١٦٨، الطوسي، أبو جعفر محمّد بن الحسن، الفهرست، تحقيق: جواد القيومي، ط٢، مطبعة باقري «قم- ١٤٢٢هـ»، ص٩٥، ابن حيان، أبو حاتم بن حيان بن أحمد التميمي البستي، مشاهير علماء الأمصار، تحقيق: مرزوق علي إبراهيم، دار الوفاء «القاهرة- ١٩٩١م»، ص٣٠- ٣١.

الرّسول(ﷺ) فليس لها ذلك الاعتبار، وهم بذلك يعدون الحكومة الإسلامية تستطيع أن تضع السّنة جانباً متى شاءت، إذ اقتضت المصلحة ذلك[١].

لم يكن حال المدن والأمصار الإسلامية أفضل من المدينة، حيث امتد صدى هذه الاعتراضات إلى الكوفة، وتزامن ذلك مع قسوة ولاة الخليفة عثمان، وجهلهم[٢]، حيث عين الخليفة الوليد بن عقبة بن أبي معيط[٣]«٢٥- ٣٠هـ/ ٦٤٥- ٦٥٠م» بعد إن عزل وإليها الأسبق سعد بن أبي وقاص «٢٤- ٢٥هـ/ ٦٤٤- ٦٤٥م»[٤]، فثبت عليه شرب الخمر[٥]، فعزله وعين سعيد بن العاص بن سعيد الأموي «٣٠- ٣٤هـ/ ٦٥٠- ٦٥٤م»،[٦]وكان سعيد ينظر إلى أرض السّواد كأنّها بستان لقريش وبني أمية، تلك النّظرة الاستعلائية الأموية الّتي أثارت مشاعر النّاس في الكوفة، فبدأت الاعتراضات تتصاعد من رجالات الكوفة وعقلائها، وكان في مقدمتهم مالك بن الحارث الأشتر[٧] إذقال لسعيد: «أتجعل ما أفاء الله علينا بظلال سيوفنا ومركز رماحنا بستاناً لك ولقومك»، إلا أنّ سعيداً لم يعبأ لذلك، فخرج الأشتر إلى الخليفة عثمان في سبعين راكباً من أهل الكوفة يشتكوه، فذكروا سوء سيرته، وطلبوا عزله عنهم، إلا أنّ الخليفة لم يلب طلبهم[٨]، فاحتقن غضب أهل الكوفة لسياسية الخليفة شيئاً فشيئاً، وأخذوا يتربصون الفرصة للقيام بالثّورة، حتّى حانت لهم، فحصلت الثّورة، وانفصلت الكوفة عن جسد الدّولة الإسلامية[٩]، وبذلك تكون هذه الحادثة هي الأسبق في التّاريخ الإسلامي.

ويبدو أنّ الخليفة عثمان كان يثق بولاته ثقة كبيرة مطلقة[١٠]، وإلا أنّهم كانوا غير جديرين بهذه الثّقة[١١]، الأمر الّذي أدى إلى تأليب النّاس في الأمصار والمدن الإسلامية على مركز الخلافة في المدينة[١٢]، ويبدو أنّ نظرة النّاس إلى الخليفة والخلافة قد تغيرت،

(١) ينظر: الطبرسي، أبو منصور أحمد بن علي بن أبي طالب الطبرسي، الاحتجاج، مؤسسة النّبراس للطباعة «النّجف الأشرف- بلات»، ج١، ص٩٤، خطب أبو ذر الغفاري بالنّاس في موسم الحج قائلاً: «سمعت نبيكم يقول: أني تركت فيكم أمرين: لن تضلوا ما إن تمسكتم بهما: كتاب الله وأهل بيتي»، فلما قدم المدينة بعث إليه الخليفة عثمان وقال له: «ما حملك على ما قمت به في الموسم؟، قال: عهد عهده إلى رسول الله(ﷺ) وأمرني به، فقال: من يشهد بذلك؟، فقام علي(ﷺ)، والمقداد فشهدا، ثم انصرفوا يمشون ثلاثتهم، فقال الخليفة عثمان: إنّ هذا وصاحبيه يحسبون إنّهم على شيء»، ينظر: الهلالي، كتاب سليم، ص٤٥٨.

(٢) عين الخليفة عثمان أقرباءه من بني أمية ولاة وأمراء، فجعلهم ولاة في كل من الحجاز والعراق والشام ومصر وسائر البلدان الإسلامية، فكانوا جائرين في حكمهم، عرفوا بشقاوتهم ونقضهم للقوانين الإسلامية الجارية، وظلمهم وفسقهم، للتفاصيل ينظر: اليعقوبي، ج٢، ص١١٤- ١٢١، الطبري، ج٤، ص٢٥١ وما بعدها.

(٣) الوليد بن عقبة بن أبي عمرو بن أمية بن عبد شمس، يكنى أبا وهب، وهو أخو الخليفة عثمان بن عفان لأمه، أتى به يوم الفتح إلى النّبي(ﷺ)، فلم يمسح رؤوس الصّبيان، ولاه الخليفة عثمان الكوفة، ثم عزله، فرجع إلى المدينة، ثم خرج إلى الرّقة أيام خلافة الإمام علي(ﷺ) معتزلاً، حتّى توفي فيها، للتفاصيل ينظر: ابن سعد، الطّبقات، ج٤، ص٣٠٣، ابن حيان، الثّقات، ج٣، ص٤٢٩.

(٤) البلاذري، فتوح، ص٢٧٩، الطبري، تاريخ، ج٤، ص٢٤٤، ابن الخياط، تاريخ، ق١، ص١٦٢.

(٥) للتفاصيل ينظر: اليعقوبي، تاريخ، ج٢، ص١١٤، الطبري، تاريخ، ج٤، ص٣٢٢.

(٦) ينظر: ابن خياط، تاريخ، ق١، ص١٦٩، الطبري، تاريخ، ج٤، ص٣٢٢، سعيد بن العاص بن أحيحة بن العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي، توفي الرّسول(ﷺ) وسعيد بن العاص ابن تسع سنوات، أو نحوها، أباه العاص بن سعيد قتل يوم بدر كافر، ومات جده قبل بدر مشركاً، ولي الكوفة، فغزا طبرستان ثم جرجان، قاتل مع الخليفة عثمان في محنته ضد الثّائرين، وقاتل مع عائشة وطلحة والزبير ضد الإمام علي(ﷺ)، ولاه معاوية المدينة ثم عزله، ثم ولاه ثانياً، فمات بها سنة «٥٨هـ»، للتفاصيل ينظر: ابن سعد، الطّبقات، ج٣، ص٢٨٧- ٢٩١، ابن حيان، الثقات، ج٤، ص٢٧٧، ابن حجر، الإصابة، ج٣، ص٩٠- ٩٢.

(٧) مالك بن الحارث بن عبد يغوث بن مسلمة بن ربيعة بن الحارث بن النخع من مذحج، كان رئيس قومه، شهد اليرموك، وهو من أصحاب الإمام علي بن أبي طالب(ﷺ)، شهد معه الجمل وصفين ومشاهده كلها، وولاه الإمام(ﷺ) مصر فخرج إليها، فلما كان بالعريش شرب شربة عسل مسمومة فمات، وكان ذلك بعد سنة «٣٧هـ»، للتفاصيل ينظر: ابن سعد، الطّبقات، ج٤، ص٤٢٩، ابن الخياط، الطّبقات، ص١٤٨.

(٨) ينظر: المسعودي، مروج الذّهب، ج٢، ص٣٥٦، المجلسي، بحار الأنوار، ج٣١، ص١٥٨.

(٩) اغتنم أهل الكوفة غياب واليهم خالد بن العاص، والي الشام معاوية بن أبي سفيان، فتصلوا بإخوانهم المسيرون في الشام، وكانوا يتزعمهم مالك بن الحارث الأشتر، فدخل الأشتر الكوفة، فنصب أبا موسى الأشعري على صلاة أهلها، وحذيفة بن اليمان على السواد والخراج، للتفاصيل ينظر: تاريخ، ج٤، ص٣٣٠- ٣٣٢، ابن الأثير، الكامل، مج٣، ص١٤٧- ١٤٨، ابن خلدون، العبر، ق٢، ج٢، ص١٤٢.

(١٠) جمع الخليفة عثمان عماله ليشاورهم، فقال لهم: «إنّ لكل امرئ وزراء ونصحاء، وإنّكم وزرائي ونصحائي وأهل ثقتي، وقد صنع النّاس ما قد رأيتم، وطلبوا إلى أن أعزل عمالي، وإن ارجع عن جميع ما يكرهون إلى ما يحبون، فاجتهدوا رأيكم»، للتفاصيل ينظر: الطبري، تاريخ، ج٤، ص٣٣٣، ابن الأثير، الكامل، مج٣، ص١٤٩، ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج٢، ص١٠٩.

(١١) للاطلاع على المناقشات الّتي دار بين الخليفة عثمان وعماله، وإلى القرار النّهائي الّذي اتخذه الخليفة ينظر: العمر، سمير صالح حسن، عثمان بن عفان، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، «جامعة بغداد- ١٩٩١م»، ص٢٠٢ وما بعدها.

(١٢) ثار أناس كثيرون على الخليفة عثمان في المدينة، فقدم أهل البصرة وعليهم حكيم بن جبلة العبدي، يطالبونه بعزل واليهم عامر بن عبد الله التميمي، وأهل الكوفة وعليهم الأشتر مالك بن الحارث النخعي، يطالبونه بعزل واليهم خالد بن العاص، وأهل مصر وعليهم عبد الرّحمن بن عديس البلوي، يشكون واليهم عبد الله بن سعد بن أبي سرح، وأهل النّهروان يطالبونه بصرف ابن كريز عنهم، وسارع إليهم جماعة من أهل المدينة، للتفاصيل ينظر: ابن الخياط، تاريخ، ق١، ص١٨١- ١٨٢، ابن شبة، تاريخ المدينة، ج٤، ص١١٥٢- ١١٥٤، الشّيخ المفيد، محمّد بن محمّد بن النّعمان العكبري البغدادي، الجمل، تحقيق: علي شريفي، ط٢، مكتب الإعلام الإسلامي «قم- ١٤١٦هـ»، ص١٣٧- ١٤٠.

فنلاحظ أنّ الخليفة قد فقد تلك الهيبة والقدسية الّتي كان يتمتع بها الخليفة أبو بكر والخليفة عمر، الأمر الّذي أثر سلباً على مظهر الخلافة وهيبتها بشكل عام، وكانت نظرتهم تلك قد بنيت نتيجة خروج الخليفة عن السّياق والنّظم الّتي انتهجها السّلف، ويمكن أن نحصر هذا الخروج بالنّقاط الآتية:

١- كان الخليفة عثمان كثير البذخ على نفسه[١] وكثير العطايا على أقربائه[٢].

٢- استخدام العنف الجسدي مع صحابة رسول الله(ﷺ)، والّذين كانوا يمثلون المعارضة الحقيقية لسياسة الخليفة[٣]، وهي سابقة خطيرة في تاريخ الإسلام.

٣- إصرار الخليفة على استئثار أقربائه، ومنحهم المراكز الإدارية، ودعمه المتواصل لهم، رغم شكوى المسلمين منهم[٤].

٤- استخدام مبدأ النّفي والتّهجير بشكل انفرادي ضد المعارضين السّياسيين، وهذا المبدأ لم يستخدم في عصر الخليفة أبي بكر، ولا الخليفة عمر بن الخطاب[٥].

٥- رد طريد الرّسول(ﷺ) الحكم بن أبي العاص[٦]، الّذي ظلّ طيلة خلافة أبي بكر وعمر[٧]، وتولية أعداء الإسلام من أقربائه على البلاد الإسلامية[٨].

والظّاهر أن اتجاه أهل الكوفة نحو الثّورة جاء رد فعل طبيعي على سياسة الخليفة عثمان، وجاء منسجماً مع ردود أفعال أهل البصرة وأهل مصر، رغم اختلاف الميول والولاءات[٩]، والأمر الّذي لا شك فيه هو أنّ الكوفة قد اشتركت بشكل كبير في تلك الثّورة، حيث اندفعت جموع الثّائرين نحو المدينة لمحاصرة الخليفة عثمان، وفيهم ألف رجل من الكوفة[١٠] تحت قيادة مالك الأشتر النّخعي، لتجتمع مع جموع الثّائرين من البصرة ومصر وغيرهم[١١]، وبلغت الأزمة مداها، حتّى ارتوت أرضها بدماء

(١) للتفاصيل ينظر: ابن قتيبة، أبو محمّد عبد الله بن مسلم الدينوري، الإمامة والسّياسة، تحقيق: علي شيري، مطبعة أمير «قم- ١٤١٣هـ»، ج١، ص٥٠، الطبري، تاريخ، ج٤، ص٤٠١، المسعودي، مروج، ج٢، ص٣٥١- ٣٥٢.

(٢) أمر الخليفة عثمان بمبلغ ستمائة ألف درهم لعبد بن خالد بن أسيد عندما تزوج ابنته، وكتب إلى عبد الله بن عامر أن يدفعها إليه من بيت مال البصرة، وأعطى مبلغ مائة الف درهم إلى الحكم بن أبي العاص، وأعطى أيضاً سعيد بن العاص الأموي مائة ألف درهم، فتنكر النّاس على الخليفة ذلك، فكلمه الإمام علي(عليه السلام) والزبير وطلحة وسعد وعبد الرحمن بن عوف في ذلك، فقال: «إنّ له قربة ورحماً»، قالوا: «أفما كان لأبي بكر وعمر قربة وذوو رحم»، واقطع الخليفة لمروان بن الحكم فدك، وهي صدقة رسول الله(ﷺ) الّتي طلبتها فاطمة(عليها السلام) ميراثاً، للتفاصيل ينظر: ابن قتيبة، أبو محمّد عبد الله بن مسلم، المعارف، تحقيق: الدكتور ثروت عكاشة، ط٤، دار المعارف «القاهرة- ١٩٨١م»، ص١٩٤- ١٩٥، ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج٣، ص٢٧- ٣٢.

(٣) نفى أبي ذر الغفاري إلى الربذة حتّى هلك فيها، وضرب عمار بن ياسر حتّى غشي عليه، وتسيير عبد الله بن مسعود من الكوفة إلى المدينة، وضربه بالأرض حتّى دق ضلعه وحرمانه من عطاءه ثلاث سنين، وغيرها من الحوادث الّتي تدل على أنّ الخليفة استخدم العنف الشّديد ضد معارضيه بشكل لم يسبق له مثيل في عهد الخليفة أبو بكر والخليفة عمر، للتفاصيل ينظر: ابن شبة، أبو زيد عمر بن شبة النمري البصري، تاريخ المدينة المنورة، تحقيق: فهيم محمّد شلتوت، مطبعة قدس «قم- بلات»، ج٣، ص١٠٣٩- ١٠٤٩، ص١٠٩٩- ١١٠١، اليعقوبي، تاريخ، ج٢، ص١١٨- ١٢٠.

(٤) لما ولي الخليفة عثمان على المسلمين، مكث ست سنوات لا ينقم عليه النّاس شيئاً، وإنّه لأحب إلى قريش من عمر، لشدة عمر، ولي عثمان لهم، ثم توانى في أمرهم، واستعمل أقرباءه وأهل بيته، وأهملهم في الست سنوات الأواخر، وقد أكد ذلك الخليفة نفسه حينما قال: «أتعلمون أنّ رسول الله(ﷺ) كان يؤثر قريشاً على سائر النّاس ويؤثر بني هاشم على سائر النّاس قريش القوم فقال عثمان لو بيدي مفاتيح الجنة لأعطيتها بني أمية حتّى يدخلوا من عند أخرهم»، للتفاصيل ينظر: ابن سعد، الطّبقات، ج٢، ص٨٥- ٨٦، ابن حنبل، مسند أحمد، ج١، ص٦٢.

(٥) للتفاصيل ينظر: غازي، جابر رزاق، سياسة النّفي والتّهجير في الدّولة العربية الإسلامية حتّى نهاية العصر الأموي، أطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب، «جامعة الكوفة- ٢٠٠٥م»، ص٥٥ وما بعدها.

(٦) كتب الخليفة عثمان إلى عمه الحكم بن أبي العاص أن يقدم عليه المدينة، وكان الحكم جاراً لرسول الله(ﷺ)، وهو أشد جيرانه أذىً له في الإسلام، فكان يغمز به ويحكيه ويخلج بأنفه وفمه، وذات يوم اطلع على الرّسول(ﷺ) وهو في حجر نسائه، فعرفه، فقال الرّسول: «لا يساكنني ولا ولده»، فغربهم جميعاً إلى الطّائف، للتفاصيل ينظر: الشّيخ المفيد، الجمل، ص١٨٠- ١٨٢، الطّبري، تاريخ، ج٥، ص٥٦٥- ٥٦٦، الأميني، الغدير، ج٨ ص٢٤٣.

(٧) لما تولى أبو بكر الخلافة سأله قوم من بني أمية في الحكم، فلم يأذن له، فلما ولي الخليفة عمر فعلوا ذلك، فلم يأذن له، فأنكر النّاس على الخليفة عثمان إذنه له، للتفاصيل ينظر: اليعقوبي، تاريخ، ص١١٤، الطبراني، سليمان بن أحمد بن أيوب اللخمي، المعجم الكبير، ط٢، تحقيق: حمدي عبد المجيد السّلفي، مطبعة دار إحياء التّراث العربي «بيروت- بلات»، ج٣، ص٢٤١، ابن حجر، الإصابة، ج٢، ص٩١- ٩٢، المجلسي، بحار الأنوار، ج٣٠، ص١٩- ٢٠، ج٣١، ص١٦٨- ١٦٩.

(٨) سئل الخليفة عمر عن راية في تولية عثمان الخلافة، فقال: «أوه ثلاث مرات، والله لئن كان الأمر إليه ليحملن بني أبي معيط «يعني بني أمية» على رقاب النّاس، والله لئن فعل لينهضن إليه فليقتلنه»، فلما تولى عثمان كان عماله جماعة، منهم: الحكم بن أبي العاص «طريد الرّسول(ﷺ)»، والوليد بن عقبة بن أبي معيط والي الكوفة، وهو من أخبر الرّسول(ﷺ) أنّه من أهل النّار، وعبد الله بن أبي سرح والي مصر، وهذا ارتد في زمن الرّسول(ﷺ) وأمر بقتله، ومعاوية بن أبي سفيان على الشّام، وعبد الله بن عامر على البصرة، للتفاصيل ينظر: ابن شبة، تاريخ المدينة، ج٣، ص٨٨١، المسعودي، مروج، ج٢، ص٣٥٤، ص٢٥٨.

(٩)«أمّا الكوفة وسوادها فشيعة علي وولده، وأمّا البصرة وسوادها فعثمانية تدين بالكف»، ينظر: ابن الفقيه، مختصر كتاب البلدان، ص٢٨٦.

(١٠) ينظر: ابن قتيبة، الإمامة والسّياسة، ج١، ص٥٦.

(١١) كتب صحابة رسول الله(ﷺ) من أهل المدينة إلى من بالآفاق منهم، وكانوا قد تفرقوا في المدن والأمصار: «إنّكم إنّما خرجتم أن تجاهدوا في سبيل الله عز وجل تطلبون دين محمّد(ﷺ)، فإنّ دين محمّد قد أفسد من خلفكم وترك، فهلموا فأقيموا دين محمّد(ﷺ)، فأقبلوا من كل أفق حتّى قتلوه»، ينظر: ابن قتيبة، الإمامة والسّياسة، ص٧٢، الطبري، تاريخ، ج٤، ص٣٦٧، ص٤٥٩، ابن الأثير، الكامل، مج٣، ص٢٠٦- ٢٠٧.

الخليفة، حيث أهلكته تلك البطانة الأموية الفاسدة[١].

وبهذه الأحداث أخذ التّشيع في النّمو، كأنّما كانت تلك الأحداث والخصومات ودم الخليفة الّذي سأل في مدينة الرّسول(ﷺ) حافزاً لظهور ذلك التّيار بقوة على ساحة الأحداث، ولعل تلك الأيام العصيبة قد دفعت أهل الكوفة لتوطيد علاقتهم بإمامهم لتحقيق أهدافهم الّتي ظلوا طوال تلك السّنين يصبون لتحقيقها، وبذلك يكون الثّائرون وقد طووا صفحة مهمة من صفحات التّاريخ الإسلامي كان لها الأثر الكبير في سير حركة تاريخ الإسلام والمسلمين، وفتحوا صفحة أخرى كانت بدايتها الصّراع والتّمرد ونهايتها استشهاد ابن عم الرّسول ووزيره(ﷺ)[٢].

لقد جاء الإسلام موحداً للمجتمع ورافضاً لقيم الجاهلية، فالإسلام ليس ديانة صرفة، بل هو ثورة قامت لقلب نظام ووضع نظام جديد، شملت جميع نواحي الحياة، وكان التّعصب والثّراء من أعظم العقبات الّتي واجهت الرّسول(ﷺ)، فعمل على تأكيد المفاهيم الإسلامية فشهد المجتمع انقلاباً في الأفكار، وصعود أشخاص كانوا مغمرين في الجاهلية، وبنفس الوقت أفول نجم كثير من الشّخصيات الّتي كانت متألقة، ويمكننا القول أنّ التّقييمات أصبحت معكوسة[٣].

المبحث الثّالث:

خلافة الإمام علي(عليه السلام) واتخاذ الكوفة عاصمة للدول الإسلامية:

اجتمع النّاس في المسجد على أثر اغتيال الخليفة عثمان بن عفان، فكثر التّأسف والنّدم عليه، وأخذ النّاس يوجهون الاتهام إلى طلحة[٤] والزّبير[٥]، إذ قال النّاس لهما: أيّها الرّجلان، قد وقعتما في أمر عثمان، فخليا عن أنفسكما[٦]، ويبدو أنّ طلحة والزّبير قد تداركا هذا الموقف، وذلك بتوجيه أنظار الحضور إلى مسألة خلافة الإمام(عليه السلام)، إذا خطب الزّبير بالنّاس قائلاً: أيّها النّاس إنّ الله قد رضي لكم الشّورى، فأذهب بها الهوى، وقد تشاورنا فرضينا علياً فبايعوه، فتوجه النّاس إلى الإمام(عليه السلام) في داره، يريدون بيعته[٧]، فلم يوافقهم الإمام(عليه السلام) على ذلك إيماناً منه أنّ الأمر لا يقتصر على فئة من المجتمع وإنما هو لأهل الشّورى وأهل بدر فمن رضي به أهل الشّورى وأهل بدر فهو الخليفة[٨]، وتكرر طلبهم مراراً جازمين بأنّهم لا يعرفون أحداً أحق بالخلافة غيره، ولا أسبق للإسلام منه، ولا أقرب منه قرابة لرسول الله(ﷺ)، إلا أنّ الإمام(عليه السلام) رأى أن يكون وزيراً خيراً من أن يكون أميراً، لكنهم أبوا ذلك وأصروا على بيعته، فلما رأى أن لا مفر من ذلك، أجابهم: إنّ بيعتي لا تكون خفية ولا تكون إلا في المسجد فخرج(عليه السلام) إلى المسجد، فبايعه النّاس[٩].

في ضوء ما تقدم يتضح أنّ بيعة الإمام(عليه السلام) كانت أمام عامة المسلمين وباختيارهم، دون سعي منه ولا جهد، وأنّ قبوله بها جاء تلبية للدعوات الملحة من قبل عامة المسلمين، وحرصاً منه على وحدة صفوفهم، وبمجمل هذه القضية نلاحظ أنّ مبدأ الشّورى الّذي أكد عليه الله عز وجل في كتابه المجيد[١٠]، قد تجسد بظاهره ومضمونه ولأوّل مرة بعد وفاة الرّسول(ﷺ).

استهل أمير المؤمنين علي(عليه السلام) خلافته بتنصيب الولاة على الأمصار[١١]، فبعث عمارة بن شهاب[١٢] أميراً على الكوفة،

(١) العسكري، مرتضى، أحاديث أم المؤمنين عائشة، ط٧، مطبعة الغدير «بيروت- ١٤٢٥هـ»، ج١، ص١٦٤، بطانة الخليفة عثمان هم: مروان بن الحكم، معاوية بن أبي سفيان، وعبد الله بن عامر بن كريز، وعبد الله بن سعد، للتفاصيل ينظر: الطّبري، تاريخ، ج٤، ص٣٦٦، ابن الأثير، الكامل، ج٣، ص١٦٧- ١٦٨.

(٢) الشّيخ المفيد، الأمالي، ص٦١، الطّبري، محمّد بن جرير بن رستم الأمامي، المسترشد، تحقيق: أحمد المحمودي، مطبعة سلمان الفارسي «قم- ١٤١٥هـ»، ص٢١٥.

(٣) علي، جواد، تاريخ العرب في الإسلام، مطبعة أمير «قم- ١٤١٤هـ»، ص١٩.

(٤) طلحة بن عبيد الله بن عثمان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة، ويكنى أبا محمّد، وهو من الثّمانية السّابقين إلى الإسلام، وهو أحد العشرة المبشرين، وأحد السّتة أصحاب الشّورى، شهد أحداً مع الرّسول(ﷺ) وثبت معه، وشهد الخندق وسائر المشاهد، قتل يوم الجمل، ودفن في البصرة سنة «٣٦هـ»، للتفاصيل ينظر: ابن سعد، الطّبقات، ج٢، ص١٩٣- ٢٠٢، الزّركلي، الأعلام، ج٣، ص٢٢٨- ٢٢٩.

(٥) الزّبير بن العوام بن خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي، ويكنى أبا عبد الله، كان حواريي الرّسول(ﷺ)، شهد معه بدراً وأحداً والمشاهد كلّها، وهو حامل إحدى رايات المهاجرين الثّلاث في غزوة الفتح، تنحى عن القتال يوم الجمل فتبعه عمرو بن جرموز فقتله، فدفن في وادي السّباع على أميال من مدينة البصرة، وكان ذلك سنة «٣٦هـ»، للتفاصيل ينظر: ابن سعد، الطّبقات، ج٢، ص١١٠- ١٢٠، ابن خياط، الطّبقات، ص١٣.

(٦) ابن قتيبة، الإمامة والسّياسة، ج١، ص٦٥.

(٧) ابن قتيبة، الإمامة والسّياسة، ج١، ص٦٥، ابن حبان، الثّقات، ج٢، ص٢٦٩.

(٨) م. ن، ج١، ص٦٥، ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج٣٩، ص٤١٩، ابن الأثير، الكامل، مج٣، ص١٩٠.

(٩) الطّبري، تاريخ، ج٤، ص٤٢٧، ابن الأثير، الكامل، مج٣، ص١٩٠- ١٩١، المتقي الهندي، علاء الدّين علي بن حسام الدّين، كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، تحقيق: بكري حياني وصفوة السّقا، مطبعة مؤسسة الرّسالة «بيروت- ١٩٨٩م»، ج٥، ص٧٤٩.

(١٠) قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾، ينظر: القرآن الكريم، سورة الشّورى، الآية «٣٨»، الطّوسي، أبو جعفر محمّد بن الحسن، التّبيان في تفسير القرآن، تحقيق: أحمد حبيب العاملي، مطبعة مكتب الأعلام الإسلامي «قم- ١٤٠٩هـ»، مج١، ص١٦٨.

(١١) للتفاصيل ينظر: الطّبري، تاريخ، ج٤، ص٤٤٢، ابن كثير، البداية والنّهاية، مج٤، ج٧، ص٢٢١، ابن خلدون، العبر، ق١، ج٢، ص١٥٢.

(١٢) عمارة بن حسان بن شهاب الثّوري، من المهاجرين إلى المدينة، استعمله أمير المؤمنين علي بن أبي طالب(عليه السلام) على الكوفة، ينظر: ابن حجر، الإصابة، ج٤، ص٤٧٩.

فأقبل حتّى وصل زبالة[١]، فواجه معارضة شديدة من قبل بعض أهل الكوفة، وكان على رأسهم طليحة بن خويلد[٢] إذ قال له: ارجع فإنّ القوم لا يريدون بأميرهم بدلاً وإن أبيت ضربت عنقك[٣]، فرجع عمارة إلى الإمام(عليه السلام) دون تحقيق أمر الإمام(عليه السلام).

ويؤكد أحد الباحثين[٤] أنّ طليحة بن خويلد توفي سنة «٢١هـ/ ٦٤١م»، أي قبل بيعة أمير المؤمنين(عليه السلام) بنحو خمسة عشر عاماً، إلا أنّ هذا لا ينفي أنّ جماعة من أهل الكوفة قد صدوا عامل الأمير(عليه السلام)، ولعل هذا الصدّ يرجع إلى فقدان الطّبقة الموالية للخليفة عثمان امتيازاتها ونفوذها، هذا من جهة وسياسة الخليفة اتجاه أتباع الإمام(عليه السلام) أدت إلى ضعفهم وتضعضعهم من جهة أخرى، أضف إلى ذلك أنّ استشهاد الخليفة عثمان أدى إلى اضطراب الأمة الإسلامية بشكل عام، وأهل الكوفة بشكل خاص، فكانت هذه الاعتراضات منسجمة مع أحداث الواقع آنذاك.

بعث الإمام(عليه السلام) عبيد الله بن العبّاس[٥] والياً على اليمن، وكان يعلى بن أمية[٦] على جندها، فجمع يعلى أموال الجباية وخرج بها، وهو سائر على حاميته إلى مكة، فاستقر الأمر لعبيد الله في اليمن[٧]، كما بعث سهل بن حنيف[٨] والياً على الشّام، فخرج حتّى إذا كان بتبوك[٩]، فتلقته خيل معاوية بن أبي سفيان، فقالوا له: إن كان عثمان بعثك فحي هلا بك، وإن كان غيره فارجع[١٠]، فرجع إلى أمير المؤمنين علي(عليه السلام) وأخبره بالخبر، وصلت أخبار العمال إلى الإمام(عليه السلام) فدعا طلحة والزّبير وقال: «إنّ الّذي كنت أحذركم قد وقع يا قوم، وإنّ الأمر الّذي وقع لا يدرك إلا بإماتته، وإنّها فتنة كالنّار، كلما سعرت ازدادت واستنارت»، فسألوه الإذن في الخروج من المدينة، فقال الإمام(عليه السلام): «سأمسك الأمر ما استمسك، فإذا لم أجد بداً فآخر الدّواء الكي»[١١]، ويبدو أنّ تعيين العمال على الأمصار من قبل الإمام(عليه السلام) قد أفقد طلحة والزّبير الأمل في اعتلاء أي منصب إداري في خلافته، فاستغلا اضطراب الأمصار وانشغال الإمام(عليه السلام) للتنصل من بيعتهم له[١٢].

دعا الإمام(عليه السلام) أبا موسى الأشعري، ومعاوية بن أبي سفيان «واليا الخليفة عثمان على الكوفة والشّام» للطاعة والبيعة، فكتب إليه أبو موسى: «بطاعة أهل الكوفة وبيعتهم، وبين الكاره منهم للذي كان، والرّضى بالّذي كان»[١٣]، أمّا معاوية فلم يجب إلا بعد ثلاثة أشهر من اغتيال الخليفة عثمان، وكان الرّفض مضمون جوابه، وكانت طريقته في الرّد استفزازية ولا تليق بحضرة أمير المؤمنين(عليه السلام)[١٤]، وبذلك يصبح معاوية متمرداً على السّلطة المركزية للخلافة الإسلامية.

لم يكتف معاوية بالتّمرد على سلطة الخلافة الإسلامية، بل ذهب إلى أبعد من ذلك، إذ قام بتأليب النّاس في الشّام على

(١) زبالة تقع على مراحل الحاج من الكوفة إلى مكة، فيها حصن وجامع لبني غاضرة من بني أسد، وسمت زبالة بزبلها الماء أي يضبطها له، للتفاصيل ينظر: أبو عبيدة، معمر بن المثنى، النّقائص، مطبعة ليدن «بريل- ١٩٠٥م»، ج٢، ص٤٩٦، ياقوت الحموي، معجم البلدان، مج٢، ج٤، ص٤٦٧.

(٢) طليحة بن خويلد بن نوفل بن نضلة بن الأشتر بن جحوان، قدم على النّبي(صلى الله عليه وآله) في وفد بني أسد سنة «٩هـ»، وأسلموا، ولما رجعوا ارتد طليحة، وادعى النّبوة، في حياة الرّسول(صلى الله عليه وآله)، وفي أيّام الخليفة عمر، قدم المدينة فأسلم وبايع عمر ثمّ خرج إلى العراق، فحسن بلاؤه في الفتوح واستشهد يوم نهاوند، للتفاصيل ينظر: ابن ماكولا، علي بن هبة الله، الإكمال في رفع الارتياب عن المؤتلف والمختلف من الأسماء والكنى والألقاب، تحقيق: نايف عبّاس، دار الكتاب الإسلامي «القاهرة- بلات»، ج١، ص٨١، الزّركلي، الأعلام، ج٣، ص٢٣٠.

(٣) الطّبري، تاريخ، ج٤، ص٤٤٣، ابن الأثير، الكامل، مج٣، ص٢٠٢.

(٤) المالكي، حسن بن فرحان، نحو إنقاذ التّاريخ الإسلامي، مؤسسة اليمامة الصّحفية «الرّياض- ١٤١٨هـ»، ص١٩٨.

(٥) عبيد الله بن العبّاس بن عبد المطلب بن هاشم، يكنى أبا محمّد، أدرك الرّسول(صلى الله عليه وآله)، استعمله الإمام علي(عليه السلام) على اليمن، وأمره على الحج، فحج بالنّاس سنة «٣٦- ٣٧هـ»، وفي سنة «٤٠هـ» بعث معاوية بسر بن أرطأة العامري والياً إلى اليمن، فلم يزل عليها حتّى استشهد الإمام(عليه السلام)، توفي عبيد الله بالمدينة سنة «٥٨هـ»، للتفاصيل ينظر: ابن عبد ربه، الاستيعاب، ج٣، ص١٣١، ابن الأثير، ج٣، ص٥١٩- ٥٢١.

(٦) يعلى بن أمية بن أبي بن عبيدة بن همام بن الحارث بن بكر بن زيد بن ملك بن حنظلة، ويكنى أبو صفوان، وهو المعروف بيعلى بن منية، ومنية أمّه، وهي: منية بنت غزوان أخت عتبة بن غزوان، استعمله الخليفة عمر على بعض اليمن، واستعمله الخليفة عثمان على صنعاء، شهد الجمل مع عائشة، ثمّ صار في جيش الإمام علي(عليه السلام) واستشهد معه في معركة صفين سنة «٣٧هـ/ ٦٥٧م»، للتفاصيل ينظر: ابن سعد، الطّبقات، ج٤، ص٢٢٦، ابن الأثير، أسد الغابة، ج٥، ص٤٨٦- ٤٨٧.

(٧) الطّبري، تاريخ، ج٤، ص٤٤٣، ابن الأثير، الكامل، مج٣، ص٢٠٢.

(٨) سهيل بن حنيف بن وهب بن ثعلبة بن الحارث بن مجدعة بن عمرو بن حنش بن عوف بن عمرو بن عوف، ويكنى أبا سعد، شهد بدراً وأحداً والخندق والمشاهد كلّها مع الرّسول(صلى الله عليه وآله)، وشهد سهيل معركة صفين مع أمير المؤمنين علي(عليه السلام)، توفي في الكوفة سنة «٣٨هـ»، وصلى عليه الأمير(عليه السلام)، للتفاصيل ينظر: ابن سعد، الطّبقات، ج٢، ص٣٨٠- ٣٨٢، ابن خياط، الطّبقات، ص١٣٥.

(٩) موضع بالشّام يبعد عن المدينة أربع عشرة مرحلة، وعن دمشق أحد عشر مرحلة، للتفاصيل ينظر: ياقوت لحموي، معجم البلدان، مج١، ج٢، ص٤٣١- ٤٣٢، الطريحي، مجمع البحرين، ج١، ص٢٩٥.

(١٠) ابن الأثير، الكامل، مج٣، ص٢٠١، البداية والنّهاية، ج٧، ص٢٢١.

(١١) الطبري، تاريخ، ج٤، ص٤٤٣، ابن الأثير، الكامل، مج٣، ص٢٠٢.

(١٢) ينظر: اليعقوبي، تاريخ، ج٢، ص١٤٥- ١٢٥.

(١٣) الطبري، تاريخ، ج٤، ص٤٤٣، ابن خلدون، العبر، ق١، ج٢، ص٢٥٢.

(١٤) دعا معاوية رجلاً من بني عبس يدعى قبيصة ليكون رسوله إلى الإمام(عليه السلام)، وسلمه طوماراً مختوماً، عنوانه: «من معاوية إلى علي» فلما دخل على الإمام(عليه السلام) دفع الطّومار إليه، ففتحه فلم يجد به كتاباً، للتفاصيل ينظر: الطبري، ج٤، ص٤٤٤، ابن الأثير، الكامل، مج٣، ص٢٠٣.

خلافة الإمام(عليه السلام)، واتهامه بمقتل الخليفة عثمان، وصور لهم نفسه بصورة المطالب بدم الخليفة المظلوم[١]، وبموقفه هذا يكون قد مزق صفوف المسلمين وفرق كلمتهم وبدد شملهم، وجعلها فرقاً متباينة، لتحقيق مآربه وآماله، وتقويض السّنة النّبوية حسب الهوى والمزاج.

جهّز الإمام(عليه السلام) جيشاً لقتال المتمردين في الشّام، فدفع اللواء إلى محمّد بن الحنفية[٢]، واستخلف قثم بن عبّاس[٣] على المدينة، وخطب أهل المدينة، وقال الإمام(عليه السلام) في بعض خطبته: «انهضوا إلى هؤلاء القوم الّذين يريدون يفرقون جماعتكم، لعل الله يصلح بكم ما أفسد أهل الآفاق، وتقضون الّذي عليكم»[٤].

بينما كانت المدينة مشغولة بالتّجهيز لأهل الشّام وصلت أخبار طلحة والزّبير اللذين وصلا إلى مكّة، واجتمعا مع أم المؤمنين عائشة وكانت في جماعة من بني أمية، واستطاعوا التّأثير عليها[٥]، وكانت أم المؤمنين تميل اتجاه طلحة لكونه ابن عمها، وتسعى إلى أن تكون الخلافة في تيم أسرتها، وهي القائلة في حق طلحة في الخلافة: «إيه ذا الإصبع! أما أنّهم وجدوا طلحة لها كفؤاً»[٦].

كان احتياج طلحة والزّبير لجهود أم المؤمنين عائشة احتياجاً كبيراً جداً، وذلك لإضفاء الشّرعية على تمردهما، وخصوصاً بعد تأكيدات معاوية بن أبي سفيان يأخذ البيعة لهما من أهل الشّام، فقد بايعهما للخلافة إذا ما خلعا بيعة الإمام(عليه السلام)[٧]، وتناول زعماء الفتنة الآراء في البلدالّذي يغزونه ويتخذونه مقراً لتمردهم، فكانت أم المؤمنين تريد السّير إلى المدينة[٨]، مما يدل أنّها لم تكن على علم بأمر رسالة معاوية إلى الزّبير من جانب، ومن جانب آخر أنّها كانت كسائر نساء العرب، تفتقر إلى الخبرة السّياسية اللازمة، مما يؤكد أنّ طلحة والزّبير استغلا نفوذ أم المؤمنين لتحقيق أهدافهم ومأربهم في اعتلاء المراكز الدّنيوية.

سعت أم المؤمنين عائشة إلى حشد ما يمكن حشده ضد خلافة الإمام(عليه السلام)، فلم تستثنِ من ذلك الحث زوجات الرّسول(صلى الله عليه وآله) في الوقوف إلى جانبها في هذا المسعى، فعلى سبيل المثال لا الحصر اتصلت بأم المؤمنين أم سلمة[٩] تدعوها للانضمام للتحالف المناوئ لخلافة الإمام علي(عليه السلام)[١٠]، وقد شاع على السّيدة أم سلمة ولاؤها للإمام علي(عليه السلام) ومودتها الخالصة

(١) جمع معاوية النّاس في الشّام، ووضع قميص الخليفة عثمان على المنبر في دمشق، وصار يؤلب النّاس على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب(عليه السلام)، حتى صار النّاس يطلبون دم الخليفة عثمان من الإمام(عليه السلام)، للتفاصيل ينظر: ابن الأثير، الكامل، مج٣، ص٢٠٣، ابن خلدون، العبر، ق٢، ج٢، ص١٥٣.

(٢)محمّد الأكبر بن الإمام علي بن أبي طالب(عليه السلام)، أمّه الحنفية خولة بنت جعفر بن قيس بن مسلمة بن علي بن بكر بن وائل، يكنى أبا القاسم، كان كثير العلم ورعاً، توفى سنة «٨١هـ»، وهو ابن خمس وستين سنة ودفن في البقيع، للتفاصيل ينظر: ابن سعد، الطّبقات، ج٣، ص٣٢٨- ٣٤٨، ابن خياط، الطّبقات، ص٤٠٤.

(٣) قثم بن العبّاس بن عبد المطلب، ولاه الإمام علي(عليه السلام) مكّة، واستخلفه على المدينة، غزى خراسان، استشهد بسمرقند، ودفن فيها، للتفاصيل ينظر: ابن سعد، الطّبقات، ج٥، ص٣٣٨، ابن عبد أثير، أبو عمر يوسف عبد الله بن محمّد القرطبي، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، تحقيق: علي محمّد عوض وعادل أحمد عبد الموجود، ط٢، دار الكتب العلمية «بيروت- ٢٠٠٢م»، ج٣، ص٣٦٣- ٣٦٤.

(٤) الضّبي، سيف بن عمر الأسدي، الفتنة وواقعة الجمل، تحقيق: أحمد راتب عمر، دار النّفائس «بيروت- ١٣٩١هـ»، ص١٠٨، الطبري، تاريخ، ج٤، ص٤٤٥- ٤٤٦.

(٥) كتب عقيل بن أبي طالب إلى أمير المؤمنين علي(عليه السلام): «وإنّي خرجت معتمراً، فلقيت عائشة معها طلحة والزّبير وذووهما، وهم متوجهون إلى البصرة، قد أظهروا الخلاف ونكثوا البيعة، وركبوا عليك قتل عثمان»، وفي رواية أخرى إنّ أم الفضل بنت الحارث «أخت أم المؤمنين ميمونة» كتبت إلى أمير المؤمنين علي (عليه السلام): بنفير طلحة والزّبير وعائشة من مكّة بمن نفر معهم من النّاس، للتفاصيل ينظر: ابن قتيبة، الإمامة والسّياسة، ج١، ص٧٤، الطّبري، تاريخ، ج٤، ص٤٥١، الشّيخ المفيد، محمّد بن محمّد بن النّعمان البغدادي، الكافلة في إبطال توبة الخاطئة، تحقيق: علي أكبر زماني، ط٢، دار المفيد «بيروت- ١٩٩٣م»، ص١٨.

(٦) وفي رواية أخرى أنّها قالت: «إيه ذا الإصبع، إيه أبا شبل، إيه ابن عم، لله أبوك أمّا إنّهم وجدوا طلحة لها كفراً، لكأنّي انظر إلى إصبعه، وهو يبايع، حثوا الإبل ودغدغوها»، دغدغوها: تعني حركوها، للتفاصيل ينظر: ابن أبي حديد، شرح نهج البلاغة، مج٣، ج٦، ص١٧١، العسكري، أحاديث أم المؤمنين، ج١، ص١٧٦.

(٧) كتب معاوية إلى الزّبير: «لعبد الله الزّبير أمير المؤمنين من معاوية بن أبي سفيان، سلام عليك، أمّا بعد: فإنّي قد بايعت لك أهل الشّام، فأجابوا واستوسقوا، كما يستوق الجَلب، فدونك الكوفة والبصرة، لا يسبقك إليها ابن أبي طالب، فإنّه لا شيء بعد هذين المصرين، وقد بايعت لطلحة بن عبد الله من بعدك، فأظهروا الطّلب بدم عثمان، وادعوا النّاس إلى ذلك، وليكن منكما الحد والتّشمير، أظفركما الله، وخذل مناوئكما»، استوسقوا: تعني استجمعوا وانضموا، للتفاصيل ينظر: ابن أبي حديد، شرح نهج البلاغة، مج١، ج١، ص٢١٨.

(٨) للتفاصيل ينظر: الطبري، تاريخ، ج٤، ص٤٥٠، ابن حيان، الثقات، ج٢، ص٢٧٩- ٢٨٠.

(٩) هند بنت أبي أمية، واسمه سهيل زاد الرّكب بن المغيرة بن عبد الله بن عامر بن مخزوم، تزوجها أبو سلمى، واسمه عبد الله بن عبد الأسد بن هلال بن مخزوم وهاجر بها أرض الحبشة، جرح في معركة أحد، وتوفى بعد ذلك في سنة «٤هـ»، فتزوجها الرّسول(صلى الله عليه وآله) في نفس السّنة، توفت سنة «٥٩هـ»، فكان لها يوم ماتت أربع وثمانون سنة، للتفاصيل ينظر: ابن سعد، الطّبقات، ج٦، ص٦٤- ٧١.

(١٠) للتفاصيل ينظر: الطبري، تاريخ، ج٤، ص٤٤٩- ٤٥٠، ابن الأثير، الكامل، مج٣، ص٢٠٧.

له[١]، فكان جوابها فيه من الصّواب والسّداد ما يغني لتوضيح واقع تلك المرحلة، إذ قالت: «يا بنت أبي بكر: أبدم عثمان تطالبون؟ فوالله إن كنت لأشد النّاس عليه، وما كنت تدعينه إلا نعثلاً! أم على علي بن أبي طالب تنقمين، وقد بايعه المهاجرون والأنصار»[٢]، وأخذت تذكر عائشة بفضائل الإمام(عليه السلام).

أمّا من النّاحية الدّينية، فقد أمر الله(عزوجل) في كتابه المجيد نساء النّبي(صلى الله عليه وآله) بالتزام بيوتهن[٣]، وقد أكد هذا المعنى الرّسول الكريم(صلى الله عليه وآله)، وجعل أجرهن يدرك أجر المجاهدين[٤]، كيف لم يدرك هذه الحقيقة طلحة والزّبير، وهم من كبار صحابة رسول الله(صلى الله عليه وآله)، وكيف سمحوا لأنفسهم بخروج أم المؤمنين معهم، وهم من أعلم النّاس بكتاب الله وأحاديث رسوله[٥].

اعتمد طلحة والزّبير ومن معهم من بني أمية في تجهيز جيشهما وتموينه على جزء حيوي من أموال بيت المال[٦] الّذي تم الاستيلاء عليه من قبل والي الخليفة عثمان بن عفان على البصرة واليمن عبد الله بن عامر[٧]، ويعلي بن أمية دون وجه حق، «فهي بالحقيقة أموال للمسلمين، خصصت لتنفق على صالحهم ورفع مستواهم اقتصادياً وفكرياً[٨]، وليس لسفك دمائهم، وليس لأحد سلطان عليها إل خليفة رسول الله(صلى الله عليه وآله) أو من يفوضه»[٩].

(١) للتفاصيل ينظر: الكليني، الكافي، ج١، ص٢٣٥، ص٢٩٨-، ص٣٠٤.

(٢) الإسكافي، أبو جعفر محمّد بن عبد الله المعتزلي، المعيار والموازنة في فضائل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، تحقيق: محمّد باقر المحمودي، «بلا ط ت»، ص٢٧، المجلسي، بحار الأنوار، ج٣٢، ص١٦٢.

(٣) قال الله عزّ وجلّ: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ﴾، للتفاصيل ينظر: القرآن الكريم، صورة الأحزاب، آية «٣٣»، ابن كثير، تفسير، ج٣، ص٤٩٠.

(٤) قال الرّسول(صلى الله عليه وآله): «مهنة أحدكن في بيتها تدرك به عمل المجاهدين في سبيل الله عزّ وجلّ»، للتفاصيل ينظر: ابن حيان، محمّد بن أحمد أبي حاتم التميمي، كتاب المجروحين من المحدثين والضّعفاء والمتروكين، تحقيق: محمود إبراهيم زايد، «بلا ط ت»، ج١، ص١٩٩، الذّهبي، ميزان الاعتدال، ج٢، ص٦١.

(٥) ينظر: ابن سعد، الطّبقات، ج٢، ص١١١- ١١٧، ص١٩٤- ١٩٦.

(٦) قدم عبد الله بن عامر من البصرة ومعه مالاً كثير، وقدم يعلي بن أمية، وهو بن منية، من اليمن ومعه ستمائة ألف درهم، وستمائة بعير، للتفاصيل ينظر: الطبري، تاريخ، ج٤، ص٤٥٠- ٤٥١، ابن الأثير، الكامل، مج٣، ص٢٠٨- ٢٠٩، ابن كثير، البداية والنّهاية، مج٤، ص٢٢٢.

(٧) عبد الله بن عامر بن كريز بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي، ويكنى أبا عبد الرّحمن، ولد في مكّة سنة «٤هـ»، ولاه الخليفة عثمان البصرة لصلة القربى بينهما، أرسل جيشاً لنصرة الخليفة عثمان في محنته ولكنه لم يدركه، فرجع الجيش إلى البصرة، فلما رأى عبد الله ذلك حمل ما في بيت المال وذهب إلى مكّة، توفى سنة «٥٩هـ»، للتفاصيل ينظر: ابن سعد، الطّبقات، ج٣، ص٢٩٧- ٣٠١.

(٨) ينظر: الشّيخ المفيد، مسألة أخرى في النّص، ج٢، ص٣٢، الطّوسي، أبو جعفر محمّد بن الحسن بن علي، الرّسائل العشر، تحقيق: واعظ الخراساني، جامعة المدرسين «قم- ١٤٠٤هـ»، ص١٢٩.

(٩) ينظر: ابن كثير، تفسير، ج٢، ص٥٨.

خرجت أم المؤمنين عائشة ومن معها من مكّة متجهة صوب البصرة لاحتلالها، وفي الطّريق اجتازوا مكاناً يقال له الحوأب[١٠]، فنبحتهم كلابه، فذعرت أم المؤمنين عائشة وصرخت بأعلى صوتها وقالت: «إنّي لهيه، سمعت رسول الله(صلى الله عليه وآله)، يقول وعنده نساؤه: «ليت شعري أيتكن تنبحها كلاب الحوأب!»[١١] ثم ضربت عضد بعيرها فأناخته وقالت: ردوني، أنا والله صاحبة ماء الحوأب، فأناخوا حولها يوماً وليلة»[١٢]، ويبدو أنّ أم المؤمنين عائشة كانت مترددة كثيراً في مواجهة الإمام(عليه السلام)، إذ أنّها أرادت باستنكارها لحديث رسول الله(صلى الله عليه وآله) العدول عن قرارها، والرّجوع إلى المدينة، إلا أنّ طلحة والزّبير عملا على تضليلها عن طريق الكتاب والتّرهيب[١٣]، وعلى أي حال فإنّ القوم لم يثنهم حديث رسول الله(صلى الله عليه وآله) عن مواصلة سيرهم إلى البصرة والاستيلاء عليها، وجعلها مقراً لهم[١٤]، واستهل طلحة والزّبير ومن معهم دخولهم البصرة بالقتل والتّعذيب الجسدي والحبس والسّيطرة على بيت المال ومنع النّاس أرزاقهم[١٥]،

(١٠) الحوأب: هي منازل وماء من مياه العرب تقع بين مكّة والبصرة، للتفاصيل ينظر: ابن منظور، لسان العرب، ج١، ص٢٨٩، الطّريحي، مجمع البحرين، ج١، ص٤٣٩.

(١١) قال الرّسول الكريم(صلى الله عليه وآله) لنسائه: «ليت شعري أيتكن صاحبة الجمل الأديب، تسير حتّى تنبحها كلاب الحوأب، يقتل عن يمينها وعن يسارها خلق كثير»، ينظر: ابن كثير، البداية والنّهاية، مج٣، ج٦، ص٢١٢، ابن حجر، فتح الباري، ج١٣، ص٤٥- ٤٦.

(١٢) ابن الأثير، الكامل، مج٣، ص٢١٠.

(١٣) قال عبد الله بن الزّبير لأم المؤمنين عائشة: إنّ الّذي أخبرك أنّ هذا المكان يدعى الحوأب، إنّه كاذب، فأبت أن تصدق، فجاؤوا بخمسين شاهداً من العرب فشهدوا أنّه ليس بماء حوأب، وحلفوا لها، فكسوهم أكسية وأعطوهم أموالاً، ثم قال لها الزّبير: «النّجاء النّجاء! قد أدرككم علي بن أبي طالب»، الطبري، تاريخ، ج٤، ص٤٥٧، الشّريف المرتضى، علي بن الحسين الموسوي، رسائل الشّريف المرتضى، تحقيق: أحمد الحسيني، مطبعة الخيام «قم- ١٤١٠هـ»، ج٤، ص١٦٤، ابن الأثير، الكامل، مج٣، ص٢١٠.

(١٤) وصل طلحة والزّبير ومن معهم إلى المزيد «سوق تباع فيه الإبل» القريب من البصرة، ووقفوا حتّى خرج إليهم عثمان بن حنيف «والي الإمام علي(عليه السلام) على البصرة»، فنشب القتال بينهما، ثم تنادوا إلى الصّلح، ودخلوا البصرة، للتفاصيل ينظر: الطبري، تاريخ، ج٤، ص٤٦١- ٤٧٧، ابن الأثير، الكامل، مج٣، ص٢١٢- ٢٢٠، ابن منظور، لسان العرب، ج٣، ص١٧١.

(١٥) جمع طلحة والزّبير الرّجال في ليلة مظلمة، فتقاتلوا مع عثمان بن حنيف في المسجد، ثم أخرجوه وضربوه أربعين سوطاً، ونتفوا لحيته وحاجبيه، وأشفار عينيه وحبسوه، وجعلوا على بيت المال عبد الرّحمن بن أبي بكر، فبلغ حكيم بن جبلة «أحد النّائرين على الخليفة عثمان» ما صنعوا بعثمان، فأراد نصره، فجاء مع جماعة إلى بيت المال، وكان بها طعام أراد الزّبير أن يرزقه أصحابه، فقال حكيم: نريد أن نرتزق وأن تخلو سبيل عثمان، فقال له الزّبير: لا نرزقكم ولا نخلي سبيل عثمان، فتقاتلوا، حتّى قتل حكيم ومن معه، للتفاصيل ينظر: الطبري، تاريخ، ج٤، ص٤٧٤- ٤٧٦، ابن الأثير، الكامل، مج٣، ص٢١٥- ٢٢٠، المجلسي، بحار الأنوار، ج٣١، ص٣٠٢- ٣٠٦.

فاستقر الأمر لهما فيها[١].

توجه الإمام(عليه السلام) ومن معه قاصداً العراق[٢]، فنزل منطقة قريبة من الكوفة[٣]، وكان(عليه السلام) ينظر إلى أهل الكوفة نظرة مميزة، يمكننا استيعابها من قوله(عليه السلام): «إنّ أهل الكوفة أشد إليّ حباً، وفيهم رؤوس العرب وأعلامهم»[٤]، فبعث إليها رجاله يستفزونهم للقيام معهم، للتصدي للفتنة الّتي أشعلها طلحة والزّبير[٥]، ومضى الإمام(عليه السلام)، ومضى معه أهل الكوفة ووفود أخرى[٦]، حتّى وصلوا الزّاوية[٧]، فنزلوا فيها وكتب الإمام(عليه السلام) إلى طلحة والزّبير يطلب منهما الرّجوع إلى الله عزّ وجلّ في أمر هذه الأمة[٨]، وكتب أيضاً إلى أم المؤمنين عائشة: «إنّك خرجت غاضبة لله ولرسوله، تطلبين أمراًكان عنك موضوعاً، ما بال النّساء والحرب والإصلاح بين النّاس؟ تطالبين بدم عثمان، ولعمري لمن عرضك للبلاء، وحملك على المعصية، أعظم إليك ذنباً من قتلة عثمان وما غضبت حتّى أغضبت، وما هجت حتّى هيجت، فاتقي الله، وارجعي إلى بيتك»[٩]، وعلى أي حال فإنّ هذه المخاطبات لم تجد نفعاً في إخماد نائرة الفتنة.

سار الإمام(عليه السلام) من الزّاوية يريد البصرة، وسار طلحة والزّبير وأم المؤمنين عائشة من الفرضة[١٠]، فالتقى الجمعان عند موضع قصر عبيد الله بن زياد، ودارت معركة حامية بين الطّرفين عرفت بواقعة الجمل «٣٦هـ/ ٦٥٧م» كان النّصر فيها للإمام(عليه السلام) وجيشه[١١].

(١) ينظر: الطبري، تاريخ، ج٤، ص٤٧٤، ابن الأثير، الكامل، مج٣، ص٢٢٠.
(٢) للتفاصيل ينظر: ابن قتيبة، الإمامة والسّياسة، ج١، ص٧٤-٧٨، الملحق رقم٤.
(٣) نزل الإمام(عليه السلام) منطقة تسمى ذي قار، للتفاصيل ينظر: الطبري، تاريخ، ج٤، ص٤٨١.
(٤) الضّبي، الفتنة، ص١٣٥، الطبري، تاريخ، ج٤، ص٤٧٧.
(٥) بعث الإمام(عليه السلام) عمار بن ياسر ومحمّد بن أبي بكر إلى أهل الكوفة، وكان عليها أبو موسى الأشعري، فلم يفلحا بسبب معارضة أبي موسى لهما، فبعث كل من الإمام الحسن بن علي(عليه السلام)، وعبد الله بن عبّاس، وعمار بن ياسر، وقيس بن سعد، وفي مرة أخرى بعث عبد الله بن عبّاس ومالك الأشتر، فخرج من الكوفة اثنا عشر ألف رجل، للتفاصيل ينظر: ابن قتيبة، الإمامة والسّياسة، ج١، ص٨٤- ٨٧، الطبري، تاريخ، ج٤، ص٤٧٧- ٤٨٧، ص٥٠٠، ابن الأثير، الكامل، مج٣، ص٢٣١.
(٦) للتفاصيل ينظر: الطبري، تاريخ، ج٣، ص٤٨٩.
(٧) الزّاوية موضع قرب البصرة، للتفاصيل ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، مج٢، ج٤، ص٤٦٦.
(٨) للتفاصيل ينظر: ابن قتيبة، الإمامة والسّياسة، ج١، ص٩٠، ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، مج٩، ج١٥، ص١٠٠.
(٩) للتفاصيل ينظر: ابن قتيبة، الإمامة والسّياسة، ج١، ص٩٠- ٩١.
(١٠) الفرضة: هو موضع بين البصرة واليمامة، للتفاصيل ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، مج٣، ج٦، ص٤٢١، الملحق رقم «٤».
(١١) للتفاصيل ينظر: الطبري، تاريخ، ج٤، ص٥٠٦- ٥٣٥، ابن الأثير، الكامل، مج٣، ص٢٣٧- ٢٥٤.

جهز الإمام(عليه السلام) أم المؤمنين عائشة بكل ما تحتاجه من مركب وزاد ومتاع، وأخرج معها كل من نجا ممن قدم معها إلا من أحب المقام، واختار لها أربعين امرأة من نساء البصرة المعروفات، فخرجت على النّاس وودعتهم ووعودها، وقالت: «إنّه والله ما كان بيني وبين علي في القديم إلا ما يكون بين المرأة واحمائها، وإنّه عندي على معتبتي من الأخيار»[١٢]، فقال الإمام(عليه السلام): «يا أيها النّاس صدقت والله وبرّت، ما كان بيني وبينها إلا ذلك، وإنّها لزوجة نبيكم(صلى الله عليه وآله) في الدّنيا والآخرة»[١٣]، وفي رواية أخرى: «وقف علي(عليه السلام) على خباء عائشة رضي الله عنها يلومها عل مسيرها فقالت: يا ابن أبي طالب ملكت فأسجح، فجهزها إلى المدينة وأعطاها اثنى عشر ألفاً... لأريب أنّ عائشة ندمت ندامة كلية على مسيرها إلى البصرة وحضورها الجمل وما ظنت أنّ الأمر يبلغ ما بلغ... وتابت من ذلك إنّها ما فعلت ذلك إلا متاولة قاصدة للخير»[١٤].

سار الإمام(عليه السلام) من البصرة ومعه أشراف النّاس وأهل البصرة قاصداً الكوفة، فلما بلغها استقبله أهل الكوفة وفيهم قراؤهم وأشرافهم، ثم دخل المسجد فصعد المنبر وقال: «يا أهل الكوفة، فإنّ لكم في الإسلام فضلاً ما لم تبدلوا وتغيروا، دعوتكم إلى الحق فأجبتم، وبدأتم بالمنكر فغيرتم ألا إنّ فضلكم فيما بينكم وبين الله في الأحكام والقسم، فأنتم أسوة من أجابكم ودخل فيما دخلتم فيه ألا إنّ أخوف ما أخاف عليكم إتباع الهوى، وطول الأمل، فأمّا اتباع الهوى فيصد عن الحقّ، وأمّا طول الأمل فينسى الآخرة»[١٥]، ويلاحظ أنّ الإمام(عليه السلام)، وبهذا الأسلوب الواضح المستقيم، قد أعطى صورة واضحة عن حاضر نفوس النّاس في الكوفة، ومستقبلها، إذ إنّ الفلق كان يساير الإمام(عليه السلام) من أتباع أهل الكوفة الهوى الّذي يصد عن الحق وطول الأمل الّذي ينسي الإنسان آخرته[١٦]، ورغم هذا التّشخيص الدّقيق لأهل الكوفة إلا أنّه استقر فيها واتخذها حاضرة لخلافته[١٧]، يبدو أنّ اختيار الكوفة عاصمة للدولة العربية من قبل الإمام(عليه السلام)، قد جاء تلبية لمتطلبات الواقع

(١٢) الطبري، تاريخ، ج٤، ص٥٤٤.
(١٣) الضبي، الفتنة، ص١٨٣، الطبري، تاريخ، ج٤، ص٥٤٤.
(١٤) ابن راهويه، مسند ابن راهويه، ج٢، ص٣٣- ٣٤، ملكت فاسجح: هو مثل سائر يعني: قدرت فأسهل وأحسن العفو، ينظر: المجلسي، بحار الأنوار، ج٣٢، ص٢٦٥.
(١٥) المنقري، واقعة صفين، ص٣، المجلسي، بحار الأنوار، ج٣٢، ص٣٥٤- ٣٥٥.
(١٦) للتفاصيل ينظر: شمس الدّين، محمّد مهدي، دراسات في نهج البلاغة، ط٢، دار الزّهراء للطباعة والنّشر «بيروت- ١٩٧٢م»، ص٢٣٦- ٢٣٧.
(١٧) خليف، حياة الشّعر في الكوفة، ص٥٥.

الملحة لبناء دولة قوية متماسكة تستطيع ردع جميع الأخطار، وأهمها تلك الانقسامات والانشقاقات الّتي نشبت في زمن الخليفة عثمان وتطورت في زمن خلافة الإمام(عليه السلام)، وإذا أردنا أن نتلمس حقيقية تلك المتطلبات، ونتعرف على الاعتبارات الّتي تمتاز بها الكوفة على المدينة، فلابدّ أولاً من ملاحظة الظّروف والتّحديات الّتي يواجهها الإمام(عليه السلام)، وهنا نجد: أنّ الإمام(عليه السلام) كان يواجه تحدياً سافراً من تلك الفئات الّتي كانت تحلم بالحصول على امتيازات أكبر على حساب الدّين والأمّة[١]، ولذا من الضّروري أن يكون الإمام(عليه السلام) في مركز القوة عسكرياً وسياسياً، وأن يعدّ العدّة لتلك التّحديات الّتي لم يكن من الصّعب التّكهن بها وبعواقبها.

بعد كل هذه التّداعيات أصبحت المدينة لا تتوفر فيها عوامل النّجاح العسكري، إذا ما أخذ حجم التّحدي بنظر الاعتبار، ذلك التّحدي الّذي يتمثل جزء منه بولاء أهل المدينة، وبالخصوص بعد مقتل طلحة والزّبير وعدد كبير من بني أمية في واقعة الجمل، ورجوع أم المؤمنين عائشة ومن نجا من المعركة إلى المدينة[٢]، وبالتّالي فهي لا تصلح عاصمة للدولة في ظروف كتلك الّتي كان يواجهها الإمام(عليه السلام)، والكوفة وإن لم تكن في المستوى المطلوب، إلا أنّها كانت أغنى منها في نواح عديدة.

ولعل الموقع الجغرافي للكوفة، وقربها من الشّام بالنّسبة إلى الحجاز قد لعب دوراً مهماً في اختيارها مقراً للإمام(عليه السلام)، إذ أنّ الضّرورة العسكرية دفعته لاختيارها كي يفوت الفرصة على معاوية من اجتياح العراق ومنطقة المشرق برمته[٣].

امتازت الكوفة بكثافة سكانية كبيرة[٤]، وهي بذلك تستطيع أن تتحمل أعباء المواجهة الّتي تنتظر خلافة الإمام(عليه السلام)، فلقد كانت تلوح بالأفق رايات العصيان والتّمرد القادمة من الشّام.

كانت الكوفة تمتلك الموارد الاقتصادية الضّخمة[٥] الّتي تستطيع أن تؤمن احتياجات جيش الإمام(عليه السلام)، والّذي يعد بعشرات الألوف[٦]، وباتخاذ الإمام(عليه السلام) الكوفة مقراً له يكون قد حقق أمرين: أولهما الاستفادة من طاقات الكوفة البشرية والاقتصادية، وثانيهما: منع معاوية بن أبي سفيان «والي الخليفة عثمان على الشّام» الاستيلاء على سواد العراق[٧]، ويتبين ذلك من قول الإمام(عليه السلام) وقد جمع الأسباب المتقدمة، إذ قال: «إنّ الأموال والرّجال بالعراق، ولأهل الشّام لهم وثبة أحب أن أكون قريباً منها»[٨].

ويبدو إنّ إعلان معاوية الخلافة في الشّام وتمرده على الخلافة الشّرعية، فرض على الإمام(عليه السلام) معالجة سريعة قبل تفشي الأمر إلى بقية الأمصار الأخرى، وبمعنى أدق، أنّ عامل الزّمن في هذه الظّروف كان مهماً جداً في حسم النّزاع بالنّسبة للإمام(عليه السلام)، فالكوفة لطالما كانت معسكراً جاهزاً لصد الأخطار ونقطة انطلاق لكثير من الفتوح العربية الإسلامية[٩].

حاول الإمام(عليه السلام) أن يقيم الحجة بأسلوب الحوار والموعظة الحسنة لحفظ الإسلام، ووأد الفتنة، وحقن دماء المسلمين[١٠]، ولكن تلك المحاولات لم تجد صدى عند معاوية الّذي جهز جيشه وقاده نحو العراق، فلما بلغ الإمام(عليه السلام) خبره، جهز جيشه وخرج من الكوفة ليقطع الطّريق على معاوية قبل أن يدخل العراق، وكان جيشه مزيجاً من جميع أهل العراق[١١]، وذلك لأنّ العراق بعد واقعة الجمل بايع لخلافة الإمام(عليه السلام) وأصبح خاضعاً كلياً له[١٢]، إلا أنّ دور أهل الكوفة في قيادة الجيش الإمام(عليه السلام) كان هو الأبرز[١٣]، ويروي صاحب الإمامة والسّياسة[١٤] بدقة مفصلة تفاصيل معركة

(١) بايع أهل الشّام معاوية بالخلافة، للتفاصيل ينظر: ابن قتيبة، الإمامة والسّياسة، ج١، ص٩٩- ١٠٠.

(٢) للتفاصيل ينظر: الطّبري، تاريخ، ج٤، ص٥٣٤- ٥٤٠، ابن الأثير، الكامل، مج٣، ص٢٤٣- ٢٥٨.

(٣) الحكيم، الكوفة من الجامع إلى الجامعة، مجلد١، ص١٧.

(٤) ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، مج٤، ج٧، ص١٦١، الجنابي، تخطيط مدينة الكوفة، ص٤٠- ٤٣.

(٥) ينظر: ابن الفقيه، مختصر كتاب البلدان، ص١٥٦، ياقوت الحموي، معجم البلدان، مج٤، ج٧، ص١٦١، مصطفى، المدن في الإسلام، ج١، ص٣٩٠.

(٦) للتفاصيل ينظر: ابن قتيبة، الإمامة والسّياسة، ج١، ص١٢٤.

(٧) كتب معاوية «قبل واقعة الجمل» إلى عبد الله بن الزّبير: فدونك الكوفة والبصرة لا يسبقك إليهما ابن أبي طالب، فإنّه لا شيء بعد هذين المصرين، وفي موضع آخر، قال الإمام(عليه السلام) لعبد الله بن عبّاس: إنّ العراقين بهما الرّجال والأموال، للتفاصيل ينظر: ابن قتيبة، الإمامة والسّياسة، ج١، ص٧١، ابن حبان، الثّقات، ج٢، ص٢٧٣، ابن أبي حديد، شرح نهج البلاغة، مج١، ج١، ص٢١٨.

(٨) الدّينوري، الأخبار الطّوال، ص١٤٣.

(٩) خليف، حياة الشّر في الكوفة، ص٤٦- ٤٩.

(١٠) القرشي، باقر شريف، حياة الإمام أمير المؤمنين(عليه السلام)، دار المرتضى «بيروت- ١٤٢٠هـ»، ج٧، ص٧٧- ١٠٥.

(١١) للتفاصيل ينظر: ابن قتيبة، الإمامة والسّياسة، ج١، ص١٢٣- ١٢٤، أبو الفداء، تاريخ، ج١، ص٢٤٠- ٢٤١، الملحق رقم «٥».

(١٢) ينظر: بروكلمان، كارل، تاريخ الشّعوب الإسلامية، نقله إلى العربية: نبيه أمين ومنير البعلبكي، ط٢، دار العلم للملايين «بيروت- ١٩٧٦م»، ج١، ص١١٦.

(١٣) للتفاصيل ينظر: خليف، حياة الشّعر في الكوفة، ص٥٦.

(١٤) ابن قتيبة، ج١، ص١٢٣- ١٣٥.

صفين «٣٨هـ/ ٦٥٨م»، والظّاهر من مجرياتها، إنّ هناك عاملين قد رجحا بشكل واضح الكفة لصالح جيش الإمام(عليه السلام)، وهما: السّيطرة الكاملة على مياه الفرات، والّذي كان المصدر الوحيد لارتواء الطّرفين[١]، فضلاً عن استشهاد الصّحابي عمار بن ياسر الّذي ولد ردة فعل كبيرة في صفوف جيش معاوية، إذ كان لاستشهاده العامل الأكبر في زعزعة الكثير من أتباع معاوية بعد أن علموا ذلك، نظراً لعلمهم بمقولة الرّسول(صلى الله عليه وآله) لعمار: تقتلك الفئة الباغية[٢].

واجه الإمام(عليه السلام) الكثير من المصاعب أثناء سير المعركة[٣]، إلا إنّ أعمقها تلك الّتي تمثلت بشخصية معاوية، إذ إنّ الأخير وفي سبيل تحقيق طموحه لم يتردد في استخدام الحيل والمكائد والّتي كانت دائماً توافق مبادئ الدّين الإسلامي في ظاهرها، وبمعنى أوضح إنّه كان يتخذ من الإسلام ستاراً للوصول إلى أهدافه وأطماعه على حساب طاقات الأمة، ووحدة أبنائها، فمهزلة رفع المصاحف[٤] كانت من أبشع الصّور الّتي رسمها لنا التّاريخ عن سلوك معاوية وسعيه وراء السّلطان والملك غير مبال بصدع بيضة الإسلام، وإلى ما سوف تؤول إليه أمور المسلمين بعد ذلك من تفرق وتشتت، ويمكننا أن نستشف ذلك من قول عمرو بن العاص[٥] لمعاوية: ألق إليهم أمراً إن قبلوه اختلفوا وإن ردوه اختلفوا، ادعهم إلى كتاب الله حكماً فيما بينك وبينهم، فإنّك بالغ به حاجتك في القوم[٦]،

(١) نزل معاوية بمن معه عند نهر الفرات، وبذلك حال بين أهل العراق والماء، اضطر الإمام(عليه السلام) لاستخدام القوة لإنقاذ جيشه، وأبى أن يمنع الماء عن جيش معاوية، للتفاصيل ينظر: الطّبري، تاريخ، ج٤، ص٥٧١- ٥٧٢، الملحق ذو الرّقم «٥».

(٢) الطّبري، تاريخ، مج٥، ص٣٨- ٤٢، ابن الأثير، الكامل، مج٣، ص٣٠٦- ٣١١.

(٣) للتفاصيل ينظر: المنقري، واقعة صفين، ص١٥٧ وما يليها، اليعقوبي، تاريخ، ج٢، ص١٣٠- ١٣٢.

(٤) لما أصبح النّصر وشيكاً من جيش الإمام(عليه السلام)، ولم يبق إلا آخر نفس في معاوية وجيشه وعلى حد تعبير الإمام(عليه السلام)، أشار عمرو بن العاص على معاوية أن يرفع المصاحف على الرّماح ليوحي لجيش الإمام(عليه السلام) إنّه يطلب الصّلح والاحتكام إلى كتاب الله، للتفاصيل ينظر: المنقري، واقعة صفين، ص٤٧٧- ٤٧٨.

(٥) عمرو بن العاص بن وائل بن هاشم بن سعيد بن سهم، يكنى أبا عبد الله، أسلم بأرض الحبشة وقدم على الرّسول(صلى الله عليه وآله) سنة «٨هـ»، ولاه الخليفة عمر بن الخطاب فلسطين، ثمّ ولاه مصر، وولاه الخليفة عثمان مصر سنتين، ثمّ عزله، شهد صفين مع معاوية الّذي ولاه مصر حتّى مات فيها سنة «٤٣هـ»، للتفاصيل ينظر: ابن سعد، الطّبقات، ج٣، ص١٧٩- ١٨٥، ابن عبد البر، الاستيعاب، ج٣، ص٢٦٦- ٢٧٠.

(٦) ينظر: المنقري، واقعة صفين، ص٤٧٧، الدّينوري، الأخبار الطّوال، ص١٨٨، القندوزي، ينابيع المودة، ج٢، ص١١.

وبذلك يكون معاوية وبمشورة عمرو هو أوّل من رفع القرآن ضد القرآن في الإسلام[٧].

اضطرب جيش الإمام(عليه السلام) نتيجة تلك الدّعوات، فاجتمعوا عليه يطلبون منه الرّضوخ، غير أنّ الإمام(عليه السلام) أكد لهم بأنّ ذلك خدعة[٨]، فأصروا على رأيهم، ويبدو أنّ الإمام(عليه السلام) في هذا الموقف أمام خيارين لا ثلاث لهما: أمّا المضي بالقتال، ومعنى ذلك أنّه سيقاتل مع جيش أهل الشّام عدد كبير من جيشه، وأمّا القبول بالتّحكيم، وهو أهون الشّرين حقناً لدماء المسلمين، وهكذا كان القبول بالتّحكيم نتيجة حتمية لظروف قاهرة لا خيار للإمام(عليه السلام) بها[٩].

اتفق الطّرفان على مبدأ التّحكيم واتفق أهل الشّام أن يفوض عنهم عمرو بن العاص، أمّا أهل العراق فقد اختلفوا أشد الاختلاف، ففوضت الكثرة الغالبة الّتي استجابت لفكرة التّحكيم أبا موسى الأشعري، برغم أنّ الإمام(عليه السلام) كان لا يثق به[١٠]، إلا أنّهم أصروا عليه بحزم وصلابة[١١]، في حين أنّ خطره على الإمام(عليه السلام) لا يقل عن خطر عمرو بن العاص وغيره، ويبدو أنّ الإمام(عليه السلام) لم يكن أمامه خيار إلا الاستجابة لأهل العراق، والقبول بأبي موسى الأشعري نائباً عنهم.

نقل في التّواريخ[١٢] أنّ أبا موسى الأشعري تعرض لخداع ابن العاص الّذي أقنعه بخلع الإمام(عليه السلام) بينما قام ابن العاص بتثبيت معاوية وخلع الإمام(عليه السلام)، وانتهت تلك الخدعة على هذا النّحو، إلا أنّ ذيولها لم تنته، إذ أنّ فئة تدعى الخوارج[١٣]

(٧) شريعتي، علي، الإمام علي(عليه السلام) في محنه الثّلاث، تقديم: الدّكتور إبراهيم شتا، دار الأمير «بيروت- ٢٠٠١م»، ص١٤٥.

(٨) قال الإمام(عليه السلام) لجماعة من جيشه: ويحكم إنّهم ما رفعوها لأنّكم تعلمونها ولا يعلمون بها، وما رفعوها لكم إلا خديعة ودهاء ومكيدة، للتفاصيل ينظر: المسعودي، مروج الذّهب، ج٢، ص٤١١- ٤١٢.

(٩) ينظر: المنقري، واقعة صفين، ص٥٣٩- ٥٤٧.

(١٠) قال الإمام علي(عليه السلام) لجماعة من جيشه: فإنّكم قد عصيتموني في أوّل الأمر، فلا تعصوني الآن إنّي لا أرى أنّ أولى أبا موسى، وقال(عليه السلام) أيضاً: فإنّه ليس بثقة، قد فارقني وخذل النّاس عني، ثمّ هرب مني حتّى أمنته بعد شهر، للتفاصيل ينظر: الطّبري، تاريخ، ج٥، ص٥١، المسعودي، مروج الذّهب، ج٢، ص٤١٢.

(١١) للتفاصيل ينظر: ابن قتيبة، الإمام والسّياسة، ج١، ص١٤٩- ١٥٠.

(١٢) الطّبري، تاريخ، ج٥، ص٧٠- ٧١، المسعودي، مروج الذّهب، ج٢، ص٤١٩- ٤٢١، ابن الأثير، الكامل، مج٣، ص٣٣١- ٣٣٢.

(١٣) قال الرّسول(صلى الله عليه وآله): يخرج فيكم قوم تحقرون صلاتكم مع صلاتهم، وصيامكم مع صيامهم، وأعمالكم مع أعمالهم، يقرؤون القرآن، ولا يجاوز حناجرهم، يمرقون من الدّين، مروق السّهم من الرّمية، ذكروا العلماء أنّهم سموا الخوارج استناداً إلى هذا الحديث، للتفاصيل ينظر: الحميري، الإمام مالك بن أنس، كتاب الموطأ، تحقيق: محمّد فؤاد، دار إحياء التّراث العربي «بيروت- ١٩٨٥م»، ج١، ص٢٠٤، السّيوطي، جلال الدّين عبد الرّحمن بن أبي بكر الشّافعي، تنوير الحوالك، تحقيق: محمّد عبد العزيز، دار الكتب العلمية «بيروت- ١٩٩٧م»، ص٢١٥.

خرجت على طاعة الإمام(عليه السلام) بعد ما كانت تحارب معه إبان واقعة صفين، ولم ينزلوا الكوفة عندما نزل الإمام(عليه السلام) فيها، فأتوا حروراء[١] فنزلوا بها منهم اثنا عشر ألفاً، وأمَروا رجلاً منهم اسمه عبد الله بن وهب الرّاسبي[٢]، وسموا الحرورية لاجتماعهم في هذه القرية، فرفعوا شعار صار رمزاً لتحركهم وهو «لا حكم إلا لله»، اعتراضاً منهم على مبدأ التّحكيم، فخرج الإمام(عليه السلام) إليهم، وبعث إليهم عبد الله بن عبّاس مندوباً عنه ليناقشهم ويفاوضهم، ولكنه لم يستطيع إقناعهم، فذهب إليهم الإمام(عليه السلام) بنفسه، وبعد مناظرتهم دخلوا جميعاً الكوفة[٣]، إلا أنّهم خرجوا مرة ثانية بعد إعلان نتائج التّحكيم متجهين إلى المدائن، فاجتمع هناك أربعة آلاف رجل[٤]، وكان من أهم معتقداتهم وأفكارهم: تكفير الإمام(عليه السلام) والخليفة عثمان والحكمين وأصحاب الجمل، وكلّ من رضي بتحكيم الحكمين، وأباحوا قتل أطفال المخالفين ونسائهم[٥].

أخذ أمر الخوارج يستفحل أكثر فأكثر، إلى أن وجد الإمام(عليه السلام) نفسه مضطراً إلى أن يضرب معسكرهم، إذ أصبحوا خطراً جدياً لا يمكن مهادنته، فجهز الإمام(عليه السلام) جيشاً وخرج من الكوفة، ولحقه أهل البصرة[٦] في النّخيلة[٧]، ثمّ تقدموا جميعاً يريدون قتال الخوارج في المدائن، فالتقى الطّرفان في النّهروان[٨]، وأخذ الإمام(عليه السلام) يبعث الرّسل، ويناظرهم، ويعطيهم الأمان علهم يرجعون إلى رشدهم[٩]، لكنهم أصروا على موقفهم، وأعلنوا استحالة رجوعهم عن عقيدتهم، وعند ذاك شنّ الإمام(عليه السلام) عليهم هجوماً عنيفاً، استطاع فيه سحق الخوارج إلا نفراً قليلاً منهم، تفرقوا في عدة أماكن[١٠]، وأخذوا يتجمعون شيئاً فشيئاً حول بعضهم، فألفوا أحزاباً، وفرقاً إسلامية منشقة، ويظهر واضحاً أنّ التّحكيم الّذي ابتدعه معاوية قد أضاف انقساماً آخر لانقسامات هذه الأمة.

وهكذا يتضح مما تقدم أنّ الإمام علي بن أبي طالب(عليه السلام) كان رجل دولة من الطّراز الرّفيع، لاقى الكثير من المصاعب أثناء حكمه، وقد استطاع بما يملك من علم وشجاعة الاستمرار والثّبات محاولاً إحقاق الحق، وتوحيد صفوف المسلمين، والتّصدي للناكثين والقاسطين والمارقين[١١] في ثلاث معارك تعد من أخطر المعارك الّتي خاضها المسلمون عبر التّاريخ.

المبحث الرّابع:

أضواء على البناء الفكري والعقائدي للتيار العلوي حتّى سنة «٤١هـ»:

الإمام علي(عليه السلام) فذ من أفذاذ العقول والمعاني، وهو بذلك موسوعة للمعارف العربية، ليس من علم عربي إلا وقد وضع قواعده أو ساهم في وضعه، فهو ربيب الرّسول(صلى الله عليه وآله) وتلميذه، ووارث أخلاقه وأسلوبه في النّظر إلى الحياة والخلق، وباب علمه[١٢]، وقد أصاب الرّسول(صلى الله عليه وآله) هذا المعنى في قوله: «أنا مدينة العلم وعلي بابها»[١٣]، وجرى هذا الميراث في قلبه وعقله سواء بسواء، فعكف على دراسة القرآن وعلومه، وقد أتيح له أن ينصرف إلى هذه الدّراسة خلال الزّمن الطّويل الّذي استخلف فيه الخلفاء أبو بكر الصّديق، وعمر بن الخطاب، وعثمان بن عفان، فإذا هو يتقن القرآن نصاً ويحياه جوهراً[١٤].

(١) وهي قرية تقع بظاهر الكوفة، ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، مج٢، ج٣، ص١٣٨.

(٢) من بني راسب بن مالك بن جدعان بن مالك بن نصر بن الأزد، أدرك الرّسول(صلى الله عليه وآله)، وشهد فتوح العراق مع سعد بن أبي وقاص، حارب مع الإمام(عليه السلام) في حروبه، ولما وقع التّحكيم أنكره جماعة، فيهم الرّاسبي، قتل في النّهروان سنة «٣٨هـ»، ابن حجر، الإصابة، ج٥، ص٧٨، الزّركلي، الأعلام، ج٤، ص١٤٥.

(٣) للتفاصيل ينظر: الطّبري، تاريخ، ج٥، ص٧٣- ٧٤، المسعودي، مروج الذّهب، ج٢، ص٤١٦.

(٤) للتفاصيل ينظر: ابن قتيبة، الإمامة والسّياسة، ج١، ص١٦١- ١٦٢، الطّبري، تاريخ، ج٥، ص٧٢- ٧٣، المسعودي، مروج الذّهب، ج٢، ص٤٢٥- ٤٢٦.

(٥) للتفاصيل ينظر: فلهوزن، يوليوس، الخوارج والشّيعة، ترجمة: الدّكتور عبد الرّحمن بدوي، ط٢، دار القلم «بيروت- ١٩٧٦م»، ص٤٣- ٤٨.

(٦) قدم من البصرة كلّ من: جارية بن قدامة السّعدي ومعه ألف وسبعمئة رجلاً، والأحنف بن قيس ومعه ألف وخمسمئة رجلاً، للتفاصيل ينظر: الطّبري، تاريخ، ج٥، ص٧٨- ٧٩.

(٧) النخيلة موضع قرب الكوفة على جهة الشّام، للتفاصيل ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، مج٤، ج٨، ص٣٨٢.

(٨) النّهروان: كورة واسعة تقع بين بغداد وواسط من الجانب الشّرقي، للتفاصيل ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، مج٤، ج٨، ص٤١٨- ٤٢٠.

(٩) للتفاصيل ينظر: ابن قتيبة، الإمامة والسّياسة، ج١، ص١٦٨- ١٦٩، الطّبري، تاريخ، ج٥، ص٨٢.

(١٠) استطاع الإمام(عليه السلام) القضاء على الخوارج إلا نفراً قليلاً منهم، هربوا على النّحو التّالي: رجلان إلى خراسان «إلى سجستان»، ورجلان إلى بلاد عمان، ورجلان إلى الجزيرة، ورجلان إلى اليمن، ورجل هرب التّل موزان، وأصبحوا هؤلاء أساس لأكثر من عشرين فرقة من الخوارج، ينظر: المجلسي، بحار الأنوار، ج٣٣، ص٣٩٨، ص٤٣٣.

(١١) قال رسول الله(صلى الله عليه وآله) يخاطب أمّ المؤمنين أمّ سلمة: يا أمّ سلمة اسمعي واشهدي هذا علي بن أبي طالب سيد المتقين وقائد الغر المحجلين وقاتل النّاكثين والقاسطين والمارقين، وقال أبا أيوب الأنصاري: أمرني رسول الله(صلى الله عليه وآله) بقتال النّاكثين والقاسطين والمارقين، قلت: يا رسول الله، مع من؟ قال مع علي بن أبي طالب، للتفاصيل ينظر: الطّبري، بشارة المصطفى، ص١٠٣، الذّهبي، ميزان الاعتدال، ج١، ص٢٧١.

(١٢) جرادق، جورج، الإمام علي صوت العدالة الإنسانية، ط٢، مطبعة كيميا «قم- ١٤٢٤هـ»، مج١، ج١، ص٨١.

(١٣) ابن أبي حاتم، عبد الرّحمن بن محمّد بن إدريس الرّازي التّميمي، الجرح والتّعديل، دار إحياء التّراث العربي «بيروت- ١٣٧١هـ»، ج٦، ص٩٩، الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج٣، ص١١٨.

(١٤) جرادق، الإمام علي صوت العدالة الإنسانية، مج١، ج١، ص٨١.

سلوني قبل أن تفقدوني[1]، كلمات رددها الإمام(عليه السلام) كثيراً، بادر بها ليكشف عن إمكاناته الفكرية الهائلة، وليحث بها المسلمين على طلب العلم والمعرفة، فمنه استقى النّاس علومهم، بطريقة أو بأخرى، فالمعتزلة[2] هم أرباب النّظر، ومنهم تلقى النّاس هذا العلم[3]، فكان كبيرهمواصل بن عطاء[4] تلميذ أبي هاشم عبد الله بن محمّد بن الحنفية[5]، وهو تلميذ أبيه، وأبوه تلميذ الإمام(عليه السلام)، أمّا الأشعرية[6] فهم ينتمون إلى أبي الحسن علي بن أبي الحسن بن أبي بشر الأشعري[7] وهو تلميذ أبي علي الجبائي[8]، وأبو علي هو أحد مشايخ المعتزلة، والمعتزلة ينتمون إلى الإمام(عليه السلام)، أمّا الإمامية والزّيدية والكيسانية[9] فانتماؤهم إليه بصورة مباشرة[10].

وللإمام(عليه السلام) الصّدارة في علم الفقه[11]، فهو أفقه النّاس بعد الرّسول(صلى الله عليه وآله)، له آراؤه الفقهية الخاصة: سواء أفتى بها في مقام الاستفتاء عنه، أو عمل بها وأمر غيره بها أيّام خلافته[12]، ففي عهد الرّسول(صلى الله عليه وآله) تميز الإمام(عليه السلام) بآرائه الفقهية، وعلى هذا الأساس بعثه الرّسول(صلى الله عليه وآله) إلى اليمن ليتولى شؤون المسلمين فيها، وكان من جملتها القضاء بين النّاس[13]، وفي عهد الخليفة أبو بكر الصّديق والخليفة عمر بن الخطاب كان الإمام(عليه السلام) موضع ثقتهما فيما تعسر حله من المشكلات والمعضلات، ومرجعاً متميزاً في شؤون الفتوى[14]، ويمكننا أن نستخلص ذلك من شهادات الخليفتين[15] في حق الإمام علي(عليه السلام).

قال ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة[16]: أنّ الإمام(عليه السلام) أصل وأساس علم الفقه، وكلّ فقيه في الإسلام عيال عليه، ومستفيد من فقهه، وراح يرجع أصل فقه الفقهاء الأربعة[17] إلى الإمام(عليه السلام)، وفسر ذلك بأنّ فقه الإمام(عليه السلام) انتقل إليهم عن أبنائه(عليهم السلام)، وبالتّحديد عن الإمام جعفر بن محمّد الصّادق(عليه السلام).

انصرف الإمام(عليه السلام) إلى دراسة فقه الدّين إلى جانب فقه الظّاهر من الأحكام، فكان لا ينتهي من التّفكير والدّراسة والتّأمل إلا ليتيقن من أنّ هذا الدّين يقوم على ركائز وأركان تتفاعل وتتحد في أصولها وحقيقتها، ومن هنا نشأ علم الكلام[18] أو ما يسمى بفلسفة الدّين

(١) للتفاصيل ينظر: المحمودي، محمّد باقر، نهج السّعادة في مستدرك نهج البلاغة، دار التّعارف للمطبوعات «بيروت- ١٣٩٦هـ»، ص١٤٦- ١٤٨.

(٢) المعتزلة: مدرسة فكرية كلامية، شكلت لنفسها خطاً سياسياً منبثقاً من عقائدهم الدّينية، للتفاصيل ينظر: النّوبختي، أبو محمّد الحسن بن موسى، فرق الشّيعة، تحقيق: محمّد صادق، المطبعة الحيدرية «النّجف الأشرف- ١٩٣٦م»، ص٥.

(٣) ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، مج١، ج١، ص٤٣، المجلسي، بحار الأنوار، ج٤٠، ص٩٢.

(٤) واصل بن عطاء المعتزلي المعروف بالغزال، ولد في المدينة سنة «٨٠هـ»، ونشأ في البصرة، توفي سنة «١٣١هـ»، للتفاصيل ينظر: كحالة، عمر رضا، معجم المؤلفين، دار إحياء التّراث العربي «بيروت- بلات»، ج١٣، ص١٥٩.

(٥) عبد الله بن محمّد بن علي بن أبي طالب، كان صاحب علم ورواية، وكان ثقة قليل الحديث، توفي في خلافة سليمان بن عبد الملك بن مروان، للتفاصيل ينظر: ابن سعد، الطّبقات، ج٤، ص١٣.

(٦) الأشعرية: هم جماعة الصّفاتية، الّذين يثبتون لله عز وجل الصّفات الأزلية، كالعلم، والقدرة والحياة وغيرها، للتفاصيل ينظر: الشّهرستاني، الملل والنّحل، ق١، ص٨٥ وما بعدها.

(٧) علي بن إسماعيل بن أبي بشر بن سالم بن إسماعيل بن عبد الله بن موسى بن بلال بن أبي بردة بن أبي موسى الأشعري، ولد في البصرة ونشأ في بغداد، وهو إمام الأشاعرة، توفي في بغداد سنة «٣٣٤هـ»، للتفاصيل ينظر: القمي، عبّاس، الكنى والألقاب، «بلا ط ت»، ج١، ص٤٧.

(٨)محمّد بن عبد الوهاب الجبائي، ولد سنة «٢٣٥هـ»، وهو صاحب مقالات المعتزلة، وله كتاب في التّفسير والجامع والرّد على أهل السّنة، توفي سنة «٣٠٣هـ»، للتفاصيل ينظر: السّمعاني، عبد الكريم بن محمّد بن منصور التّميمي، الأنساب، تقديم: عبد الله عمر، دار الجنان «بيروت- ١٤٠٢هـ»، ج٢، ص١٧.

(٩) هم أصحاب كيسان، مولى الإمام علي(عليه السلام)، وتلميذ محمّد بن الحنفية، يعتقدون أنّه يمتلك الكثير من العلوم، اقتبسها من الإمام(عليه السلام)، ومحمّد بن الحنفية، وهنالك التباس في نسب الكيسانيين سوف نوضحه لاحقاً، للتفاصيل ينظر: الشّهرستاني، الملل والنّحل، ج١، ص١٣١- ١٣٧.

(١٠) ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، مج٣، ج٦، ص٢٨٨، المجلسي، بحار الأنوار، ج٤٠، ص٩٢.

(١١) علم الفقه في اللغة: التّوصل إلى علم غائب بعلم شاهد، وفي الاصطلاح: العلم بالأحكام الشّرعية الفرعية، أو تحصيل الوظائف العلمية عن الأدلة التّفصيلية، ينظر: الطّريحي، مجمع البحرين، ج٣، ص٤٢١.

(١٢) الأنصاري، محمّد علي، الموسوعة الفقهية الميسرة، مجمع الفكر الإسلامي «قم- ١٤١٥هـ»، ج١، ص٣٩.

(١٣) ينظر: الطّوسي، المبسوط، ج٨ ص٨٣.

(١٤) للتفاصيل ينظر: إيماني، مهدي فقيه، الإمام في آراء الخلفاء، ترجمة: يحيى البحراني، مطبعة باسدار إسلام «قم- ١٤٢٠هـ»، ص٩١.

(١٥) قال الخليفة أبو بكر الصّديق في حق الإمام: «أقيلوني فلست بخيركم وعلي فيكم»، وقال الخليفة عمر بن الخطاب: «لا بقيت لمعضلة ليس لها أبو الحسن»، وقال أيضاً: «لا يفتين أحد في المسجد، وعلي حاضره»، ينظر: ابن طاووس، رضي الدّين علي بن موسى الحسيني، الطّرائف في معرفة مذاهب الطّوائف، تحقيق: مهدي الرّجائي، مؤسسة البلاغ «بيروت- ١٩٩٩م»، مج٢، ص٤٠٢، المجلسي، بحار الأنوار، ج٤١، ص١٤١.

(١٦) للتفاصيل ينظر: مج١، ج١، ص٤٣.

(١٧) الفقهاء الأربعة هم: أبو حنيفة النّعمان بن ثابت المرزبان مؤسس المذهب الحنفي، ومالك بن أنس الحميري مؤسس المذهب المالكي، ومحمّد بن إدريس بن شافع الهاشمي مؤسس المذهب الشّافعي، وأحمد بن خليل مؤسس المذهب الحنبلي: للتفاصيل ينظر: الفضلي، الدّكتور عبد الهادي وآخرون، المذاهب الإسلامية الخمسة، مركز الغدير للدراسات الإسلامية «بيروت- ١٩٩٨م»، ص١٩٧ وما بعدها.

(١٨) عرف ابن خلدون علم الكلام بأنّه: العلم الّذي يتضمن الحجاج عن العقائد الإيمانية بالأدلة العقلية والرّد على المبتدعة المنحرفين في الاعتقادات عن المذاهب السّلف وأهل السّنة، وعرف أيضاً: هو العلم الّذي يبحث عن أصول العقائد المذهبية، مستعيناً بالأدلة العقلية والنقلية، خلوصاً من العقائد الضّالة، والتزاماً بالعقيدة الحقة، ينظر: مقدمة ابن خلدون، ص٢٩٠، الغفاري، الكليني والكافي، ص٢٦٩- ٢٧٠.

الإسلامي[١]، فكان الإمام(عليه السلام) أوّل المتكلمين بعلم الكلام[٢].

أمّا علمه بالحديث فهو عظيم بكلّ المقاييس، وذلك لقربه من الرّسول(صلى الله عليه وآله) وطول رفقته له، رافقه فيها مجاهداً أو صحابياً[٣]، فسمع منه ما سمعه الآخرون وما لم يسمعه، فكان إذا سأل الرّسول(صلى الله عليه وآله) أجابه، وإذا لم يسأله ابتدأ الرّسول(صلى الله عليه وآله) الحديث معه[٤]، وقد غلب على معظم الأحاديث الّتي رواها الإمام(عليه السلام) طابع التّهذيب والبناء لشخصية الإنسان، وتبني قضايا المجتمع الّذي يعيش فيه، مما أسهم في تطوير الحياة الإسلامية[٥].

برع الإمام(عليه السلام) في العربية وعلومها كما برع في الإسلام وعلومه، وقد ساعده في ذلك منطقه السّليم، وتبحره في علوم العربية، وقوته الذّهنية الخارقة، وقد بادر إلى ضبط العربية بأصولها وقواعدها، ومما تثبته التّواريخ[٦] أنّ الإمام(عليه السلام) هو أوّل من وضع قواعد علم النّحو[٧]، حرصاً منه على أن لا يختلط كلام العرب بكلام غيرهم، وقد أخذ أبو الأسود الدّؤلي منه هذا العلم، فطوره وصار ينسب إليه[٨].

أدرك الرّسول(صلى الله عليه وآله) ما يصيب هذه الأمة بعد وفاته من انقسام واختلاف في إقامة أحكام الله وحدوده، فسعى بقوله: «إنّي تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي، أحدهما أعظم من الآخر، كتاب الله حبل ممدود من السّماء إلى الأرض وعترتي[٩] أهل بيتي ولن يفترقا حتّى يردا علي الحوض، فانظروا كيف تخالفوني فيهما»[١٠]، ولعل الرّسول سعى بذلك إلى الحفاظ على وحدة المسلمين وجمع شملهم وتوحيد كلمتهم، وإبعاد الأمة عن الصّراعات الكلامية الّتي لا تستند إلى أي أساس، والّتي تؤدي إلى تعميق جذور التّباغض والتّمزق والانهيار.

لما بويع الإمام(عليه السلام) بالخلافة، أعلن للناس أجمعين، أنّ منهاج رسول الله(صلى الله عليه وآله) هو المادة الأساس لحكمه، وأنّ حزمه ودقته في تنفيذ أحكام الله بعد وفاة رسول الله(صلى الله عليه وآله)، كحزمه ودقته في أيّام حياته، وأمرهم قائلاً(عليه السلام): «امضوا لما تؤمرون به، وقفوا عندما تنهون عنه، ولا تعجلوا في أمر حتّى نبينه لكم، فإنّ لنا عن كلّ أمر تنكرونه عذراً»[١١]، ولعله بهذا الإعلان قد صرح عن سياسته، وأكد أنّها سوف تكون امتداداً لسياسة رسول الله(صلى الله عليه وآله)، وقد هيأ النّاس إلى ذلك، وأمرهم بالابتعاد عن حياة التّرف والانحلال[١٢].

باشر الإمام(عليه السلام) خلافته معتمداً على المبادئ الّتي أرسى قواعدها رسول الله(صلى الله عليه وآله)، وكانت تقوم على ركيزتين اثنتين: أولاهما التّوحيد، وثانيهما المساواة بين النّاس[١٣]، وعلى أثر تقييم الإمام(عليه السلام) لأوضاع المجتمع وتشخيص سلبياته، قام(عليه السلام) بحركة إصلاحية بدأها بإشاعة العدل الاجتماعي والاقتصادي[١٤] والمساواة بين النّاس[١٥]، إلا أنّ هذه الحركة لم تنسجم مع بعض طبقات المجتمع الّتي وقفت موقف النّد من تلك الإصلاحات، فكانت سبباً لكثير من الفوضى والاضطرابات السّياسية[١٦]، ويبدو أنّ غيظ هذه الطّبقات من إصلاحات الإمام(عليه السلام) لم تكن بالأمر الجديد، إذ يذكر الدّكتور طه حسين[١٧]: أنّ أشد ما أغاظ قريشاً من الرّسول(صلى الله عليه وآله) ودعوته أنّه كان يدعو إلى هذا العدل وإلى هذه

(١) ينظر: كوبان، هنري، تاريخ الفلسفة الإسلامية، ترجمة: نصير مروة، مطبعة عويدات «بيروت- ١٩٩٣م»، ص٤٤- ٤٥، شريعتي، الإمام علي، ص١٤١.

(٢) ينظر: ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، مج١، ج١٠، ص٤٩.

(٣) للتفاصيل ينظر: الصّافي، لطف الله، أمان الأمة من الضّلال والاختلاف، المطبعة العلمية «قم- ١٣٩٧هـ»، ص١٠٢.

(٤) ابن سعد، الطّبقات، ج٢، ص٦، ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج٤٢، ص٣٧٨.

(٥) القريشي، باقر شريف، حياة الإمام أمير المؤمنين(عليه السلام)، مطبعة الآداب «النّجف الأشرف- ١٤١٨هـ»، ص٨- ٩.

(٦) الشّيخ المفيد، محمّد بن محمّد بن النّعمان العكبري البغدادي، الفصول المختارة، تحقيق: علي شريفي، ط٢، دار المفيد «بيروت- ١٩٩٣م»، ص٩١، ابن كثير، البداية والنّهاية، مج٤، ج٨، ص٣١٩، ابن خلدون، العبر، ج١، ص٥٤٦.

(٧) أملى الإمام(عليه السلام) على أبي الأسود الدّؤلي: «إنّ كلام العرب يتركب من اسم وفعل وحرف..»، ثمّ قال له: «انح هذا النّحو يا أبا أسود»، فصار يعرف ذلك بعلم النّحو منذ ذلك اليوم، للتفاصيل ينظر: الحر العاملي، محمّد بن الحسن، الفصول المهمة في أصول الأئمّة، تحقيق: محمّد القائيني، مطبعة نيكن «قم- ١٤١٨هـ»، ص٦٨١.

(٨) الدّجني، فتحي عبد الفتاح، أبو الأسود الدّؤلي ونشأة النّحو العربي، دار الأقلام «بيروت- ١٩٧٤م»، ص٣٩ وما يليها.

(٩) عترة الرّسول(صلى الله عليه وآله) الإمام علي بن أبي طالب وأولاده(عليهم السلام)، للتفاصيل ينظر: ابن منظور، لسان العرب، ج٤، ص٥٣٨.

(١٠) التّرمذي، أبو عيسى محمّد بن عيسى، سنن التّرمذي، تحقيق: عبد الرّحمن محمّد، دار الفكر «بيروت- ١٩٨٣م»، ج٣٢٩، ابن كثير، تفسير، ج٣، ص١٢٣.

(١١) ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، مج٤، ج٧، ص٣٠.

(١٢) ينظر إلى خطبة الإمام علي(عليه السلام) كاملة: م. ن.

(١٣) حسين، طه، الفتنة الكبرى، ط١٢، دار المعارف «القاهرة- ١٩٩٩م»، ج١، ص١٠.

(١٤)للتفاصيل ينظر: الطّوسي، أبو جعفر محمّد بن الحسن، الأمالي، تحقيق: قسم الدّراسات الإسلامية، مطبعة دار الثّقافة «قم- ١٤١٤هـ»، ص٧٢٩، ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، مج٤، ج٧، ص٣٠، المجلسي، بحار الأنوار، ج٣٢، ص١٦- ١٧.

(١٥)للتفاصيل ينظر: ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، مج٤، ج٧، ص٣١، المدني، ضامن بن شدقم بن علي الحسيني، واقعة الجمل، تحقيق: تحسين الموسوي، مطبعة محمّد «قم- ١٩٩٩م»، ص٦٦.

(١٦)للتفاصيل ينظر: الطّبري، تاريخ، ج٤، ص٤٣٤، ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، مج٤، ج٧، ص٢٧.

(١٧) الفتنة الكبرى، ص١٠.

المساواة، ولعل تلك التّداعيات لم تكن بعيدة عن تقديرات الإمام(عليه السلام) لنتائج إصلاحاته، إذ يمكننا أن نتلمس تلك الحقائق من قوله(عليه السلام): «إنا مستقبلون أمراً له وجوه وألوان، لا تقوم له القلوب، ولا تثبت عليه العقول»[١]، ويبدو أنّ الإمام(عليه السلام) قد بنى تقديراته هذه وفقاً لطبيعة المجتمع الّذي تفشى في مفاصله الانحطاط[٢]، إذ أنّه لم يكن بالمستوى «من ناحية الوعي» الّذي يؤهله لإدراك قدرات الإمام(عليه السلام) في إدارة حياة المجتمع الإسلامي، وتنظيمها[٣].

استطاع الإمام(عليه السلام) وسط تلك الظّروف أن يجمع بين مهام الخلافة وبين واجبات الإمام[٤]، فراح ينشر العلوم، ويرسي قواعد التّربية والتّعليم الصّحيحة، ويؤكد على ضرورة تعليم الأبناء المنهاج الجديد، والابتعاد عن مفاهيم الجاهلية[٥]، إيماناً منه بأنّ التّربية الحقة تأخذ طريقها بسهولة كلما كان الإنسان قريباً من الصّغر[٦]، وهو في نفس الوقت يبين للناس الأحكام الشّرعية، ويفصل بين المتنازعين[٧]، وبذلك يكون قد جمع بين الأضداد وألف بين الشّتات[٨].

حظي العلماء والفقهاء باهتمام ورعاية من قبل الإمام(عليه السلام)، فأكثر العطاء لهم[٩]، وإنّ دعمه لهم متواصل من خلال توجيههم ورفدهم بكلّ عوامل الإبداع والتّفوق[١٠].

أصبح مسجد الكوفة في عهد الإمام(عليه السلام) الجامعة العلمية الإسلامية الأولى في العالم الإسلامي دون منازع[١١]، فشهد دروس الإمام(عليه السلام) وحديثه وخطبه وأقضيته طيلة سنين خلافته[١٢]، ولعل الأحداث العظيمة الّتي شهدتها الأمة الإسلامية في عهد الإمام(عليه السلام)، وقصر مدة خلافته، قد صرفت أنظار المؤرخين والكتاب عن تدوين ما كان يحدث في المسجد من حلقات دراسية، وعن تدوين أسماء الصّحابة وتلاميذهم، فنلاحظ أنّ النّصوص في هذا المجال نادرة جداً، إذا ما قورنت مع النّصوص الّتي دونت بهذا الخصوص في عهد الخليفة عمر بن الخطاب، فنلاحظ أنّ المؤرخين قد نقلوا كثيراً عن الصّحابي عبد الله بن مسعود وحلقاته الدّراسية وأسماء تلاميذه[١٣].

وفي عصر الإمام(عليه السلام) بدأ التّصنيف والتّأليف، فكان هو أوّل من ألف في الإسلام[١٤]، ويؤكد صاحب كتاب تدريب الرّاوي[١٥] أنّ المسلمين اختلفوا في كتابة العلم، فكرهها كثير منهم، وأباحتها طائفة وفعلوها منهم الإمام(عليه السلام) وابنه الإمام الحسن(عليه السلام) فلولاهم لضاع العلم النّبوي، وعليه فإنّ الإمام(عليه السلام) كان السّباق إلى ذلك، ويعد(عليه السلام) أوّل من صنف في الإسلام، إذ أنّه جمع كتاب الله على ترتيب النّزول، وكان ذلك عقب موت الرّسول(صلى الله عليه وآله)، إذ قال الإمام(عليه السلام): «أقسمت لو حلفت أن لا أضع ردائي على ظهري حتّى أجمع ما بين اللوحين فما وضعت ردائي حتّى جمعت القرآن»[١٦].

عد «كتاب علي(عليه السلام)» من أقدم المصادر، وأعظمها الّتي يرجع إليها المسلمون كافة عند اختلافهم في أمور الدّين والحياة، وهو من إملاء رسول الله(صلى الله عليه وآله) وخط الإمام علي(عليه السلام) بيده[١٧]،

وهو أوّل كتاب كتب في الإسلام، وقد توارثه الأئمّة الأطهار، الواحد تلو الآخر، وقد تضمن كلّ ما يحتاجه

(١) ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، مج٤، ج٧، ص٢٨، المجلسي، بحار الأنوار، ج٣٢، ص٨.

(٢) عبر الإمام(عليه السلام) عن حالة المجتمع قائلاً: «صم ذوو أسماع، بكم ذوو كلام، وعمي ذوو أبصار»، ينظر: الثّقفي، الغارات، ج٢، ص٤٥٢، ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، مج٤، ج٧، ص٥٤.

(٣) للتفاصيل ينظر: ابن أبي حاتم، الجرح والتّعديل، ج٦، ص٩٩، الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج٣، ص١٨١.

(٤) ينظر: الشّيخ المفيد، الرّسائل في الغيبة، ج١، ص٥- ٦.

(٥) ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، مج١٠، ج٢٠، ص٢٢٢.

(٦) م. ن، ص٢٢٣، علي بن محمّد الليثي، عيون الحكم والمواعظ، تحقيق: حسين الحسيني، دار الحديث «قم- ١٣٧٦هـ»، ص١٧٩.

(٧) للتفاصيل ينظر: الإسكافي، المعيار والموازنة، ص٢٣٤، ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، مج٢، ج٧، ص٨٣.

(٨) للتفاصيل ينظر: ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، مج١، ج١، ص٧١، الريشهري، موسوعة الإمام، مج٩، ص٢١٨- ٢١٩.

(٩) الثّقفي، الغارات، ج١، ص١٣١، المتقي الهندي، كنز العمال، ج٢، ص٣٣٨.

(١٠) ينظر: الكراكجي، ابن الفتح محمّد بن علي، كنز الفوائد، ط٢، مكتبة المصطفوي «قم- ١٤١٠هـ»، ص١٤٧، ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، مج١٠، ج٢٠، ص٢٧٩.

(١١) المجلسي، بحار الأنوار، ج٢٨، ص١٣، الجنابي، تخطيط مدينة الكوفة، ص٦٧.

(١٢) ينظر: ابن البراج، عبد العزيز بن البراج الطّرابلسي، المهذب، تحقيق: جعفر السّبحاني، جماعة المدرسين «قم- ١٤٠٦هـ»، ج٢، ص٥٩٢، المجلسي، بحار الأنوار، ج٨٠، ص٣٦٣.

(١٣) للاطلاع على تفاصيل خلافات عبد الله بن مسعود في الكوفة، وأسماء تلاميذه، ينظر: مزهر، ختام راهي، أهل الصّفة في الإسلام دراسة في أحوالهم الاقتصادية والاجتماعية والسّياسية والفكرية حتّى العصر الرّاشدي، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، «جامعة الكوفة- ٢٠٠١م»، ص١٥٣ وما بعدها.

(١٤) الأمين، محسن، أعيان الشّيعة، تحقيق: حسن الأمين، دار التّعارف للمطبوعات «بيروت- بلات»، مج١، ج١، ص٨٨.

(١٥) السّيوطي، جلال الدّين عبد الرّحمن بن أبي بكر، تحقيق: عبد الوهاب عبد اللطيف، «الرّياض- بلات»، ج١، ص١٤٦.

(١٦) الخوارزمي، الموفق بن أحمد بن محمّد المكي، المناقب، تحقيق: مالك المحمودي، ط٤، مؤسسة النّشر الإسلامي «قم- ١٤٢١هـ»، ص٩٤، ابن شهر، مناقب آل أبي طالب، ص٣٢٠، المتقي الهندي، كنز العمال، ج١٣، ص١٥١.

(١٧) ينظر: النّجاشي، أحمد بن علي الكوفي، رجال النّجاشي، تحقيق: موسى الشّبيري، ط٥، مؤسسة النّشر الإسلامي «قم- ١٤١٦هـ»، ص٣٦٠.

المسلمون من الأحكام الشّرعية، وقد جاء الكتاب مفصلاً لما جاء في كتاب الله من أحكام وأوامر ونواه[١]، ووصف بأنّه كتاب كبير مدرج[٢]، وإذا أريد قراءته، يفتح ثمّ يقرأ[٣].

أمّا الجامعة فهو كتاب آخر للإمام(عليه السلام)، غير ما يعرف بكتاب علي، سميت في كتب أهل السّنة بـ «الصّحيفة»[٤]، ويؤكد الكليني[٥] أنّ الجامعة هي الصّحيفة، ووصفت بأنّها مكتوبة على جلد، ويبلغ طولها سبعين ذراعاً بذراع رسول الله(صلى الله عليه وآله)، وهي من إملاء رسول الله(صلى الله عليه وآله) على الإمام(عليه السلام)، وكتبها بخطه، وفي كتاب مسند أحمد[٦]، إنّ الإمام(عليه السلام) قال: «وهذه الصّحيفة أعطانيها رسول الله(صلى الله عليه وآله)»، وتحتوي الجامعة على أحكام كلّ حلال وحرام، وكلّ شيء يحتاج النّاس إليه، وليس من قضية إلا وهي فيها[٧].

الجفر[٨] كتاب آخر للإمام(عليه السلام)، وهو أحد أبواب العلم الّذي دونه الإمام(عليه السلام) من إملاء رسول الله(صلى الله عليه وآله) على الجلد، فالجفر كما تفيد روايات الأئمّة الأطهار(عليهم السلام) ينطوي على حوادث المستقبل، وصحف الأنبياء السّابقين، والكتب المنزلة قبل القرآن[٩].

صحيفة الفرائض أو كتاب الفرائض أو فرائض علي(عليه السلام)، كما وقع التّعبير بذلك عنها في الأخبار[١٠]، فالمراد منها كتاب الإمام(عليه السلام) الّذي دون فيه أحكام القضاء في المواريث وغيرها من أبواب القضاء، وهو من إملاء رسول الله(صلى الله عليه وآله) على الإمام(عليه السلام)، وكتبها بخط يده، وكان الأئمّة الأطهار يرجعون إليها في كثير من الأمور، ويدرسون مضمونها لطلابهم[١١].

مصحف فاطمة(عليها السلام)، هو أحد الإنجازات الكبيرة للإمام(عليه السلام)، كان يتضمن مواعظ وحكماً وعبراً وأخباراً وأفكاراً مستقبلية لتكون عوناً على تخفيف الآلام الّتي اكتنفت حياة الزّهراء وأولادها(عليهم السلام) بعد وفاة الرّسول(صلى الله عليه وآله)[١٢]، ولكي لا يلتبس الأمر على أحد، ويظن ظان أنّ كلمة «مصحف» تعني قرآناً غير الموجود بين عامة المسلمين[١٣]، أو قد يستغل أحد هذا الاسم فيفسره بغير واقعه، بقصد التّشويه والطّعن[١٤]، وقد بين الإمام الصّادق(عليه السلام) هذا المعنى في قوله: «ومصحف فاطمة، ما أزعم أنّ فيه قرآناً، وفيه ما يحتاج النّاس إلينا، ولا نحتاج إلى أحد»[١٥].

وللإمام(عليه السلام) تصانيف أخرى وقد ذكرها وأثنى عليها المؤرخون، وهي في مختلف العلوم، ككتاب زكاة النّعم، وكتاب في أبواب الفقه، وكتاب آخر في الفقه، وكتاب في علوم القرآن، وغيرها[١٦]، ويتبين مما تقدم أنّ الإمام(عليه السلام) منذ فجر الإسلام الأوّل ولغاية استشهاده كان السّباق إلى تدعيم أصول الإسلام وفروعه، وأنّ شيعته وبما اكتسبوه من علوم الإمام(عليه السلام)، كانوا الأبرز بين المسلمين في ميدان التّشريع، فدونوا الحديث والأحكام ونشروا تعاليم الإسلام، في ظروف أقل ما يمكن أنّ نصفها بأنّها شاقة ومتعبة.

الشّيعة الإمامية[١٧] مسلمون موحدون، يشهدون لله عز وجل بالوحدانية، ولمحمّد(صلى الله عليه وآله) بالنّبوة والرّسالة، ويؤمنون بكلّ ما جاء به من عند الله عز وجل، كما يؤمنون بعدالة الله عز وجل الّتي لا يجوز عليها الظّلم في حال من الأحوال، ويعتقدون بأنّ الله عز وجل يحيي النّفوس بعد الموت، ويحشرها للحساب جزاء بما اكتسبت: ثواباً وعقاباً يوم القيامة، ويؤمنون بإمامة الأئمّة الاثنى عشر ابتداءً بالإمام علي بن أبي طالب(عليه السلام)، وانتهاءً بالحجة المنتظر محمّد بن الحسن العسكري(عليه السلام)، وتمثل هذه المعتقدات وبمجملها أصول العقيدة الإمامية[١٨].

العدل هو: الاعتقاد بأنّ الله سبحانه لا يظلم أحداً ولا يفعل ما يستقبحه العقل السّليم، وليس في الحقيقة أصلاً مستقلاً بل

(١) المجلسي، بحار الأنوار، ج٢٦، ص٢٤، ص٥١.
(٢) المدرج، المطوي الملفوف، ابن منظور، لسان العرب، ج٢، ص٢٦٩.
(٣) الطّهراني، آغا بزرك، الذّريعة إلى تصانيف الشّيعة، ط٣، دار الأضواء «بيروت- ١٩٨٣م»، ج٢، ص٣٠٦- ٣٠٧.
(٤) الفضلي، المذاهب الإسلامية، ص٧٠.
(٥) ينظر: الكافي، ج١، ص٢٣٩.
(٦) ابن حنبل، ج١، ص١١٩.
(٧) الكليني، الكافي، ج١، ص٢٣٩، المجلسي، بحار الأنوار، ج٢٦، ص٢٢، ص٣٩.
(٨) الجفر من أولاد العنز، ما بلغ الشّهرين واستغنى عن أمّه، ابن منظور، لسان العرب، ج٢، ص٦٢٤.
(٩) ينظر: الكليني، الكافي، ج١، ص٢٣٩- ٢٤١، ابن شهر، مناقب آل أبي طالب، ج١، ص٢١٨.
(١٠) الأمين، أعيان الشّيعة، مج١، ج١، ص٩٧.
(١١) للتفاصيل ينظر: الكليني، الكافي، ج٧، ص٩٤- ٩٨، الصّدوق، من لا يحضره الفقيه، ج٤، ص٢٦٣.
(١٢) محمّد، عبد الزّهرة عثمان، سيرة أمير المؤمنين(عليه السلام)، مؤسسة الفكر الإسلامي «بيروت- ٢٠٠٢م»، ص٢٦٥.
(١٣) ينظر: ابن فروخ، محمّد بن الحسن الصّفار، بصائر الدّرجات الكبرى، تحقيق: ميرزا محسن، مطبعة الأحمدي «طهران- ١٤٠٤هـ»، ص١٧٣.
(١٤) الحسيني، هاشم معروف، دراسات في الحديث والمحدثين، ط٢، دار التّعارف للمطبوعات «بيروت- ١٩٨٧م»، ص٣٠٢.
(١٥) ابن فروخ، بصائر الدّرجات الكبرى، ص١٧٠، المجلسي، بحار الأنوار، ج٢٦، ص٣٧.
(١٦) للاطلاع على تفاصيل الكتب ينظر: الأمين، أعيان الشّيعة، مج١، ج١، ص٩٠- ٩٧، ج٣، ص٥٣٩.
(١٧) إنّ أهم ما امتازت به الشّيعة عن سائر فرق المسلمين هو القول بإمامة الأئمّة الاثنى عشر، وبه سميت «الإمامية» الفضلي، المذاهب الإسلامية، ص١١٠.
(١٨) ينظر: الشّريف المرتضى، رسائل الشّريف المرتضى، ج١، ص١٦٦.

هو مندرج في نعوت الحق ووجوب وجوده المستلزم لجامعيته لصفات الجمال والكمال فهو شأن من شؤون التّوحيد[١]، ولكن الأشاعرة قد خالفوا العدلية[٢]، فقالوا: ليس الحسن إلا ما حسنه الشّرع، وليس القبيح إلا ما قبحه الشّرع، وأنّ الله عز وجل لو خلد المطيع في النّار والعاصي في الجنة، لم يكن ذلك قبيحاً، لأنّه يتصرف في ملكه كما يشاء[٣]، ويبدو أنّ سبب هذا الاختلاف بين الفرق يرجع إلى اختلافهم في تفسير الآية القرآنية ﴿**لا يُسْئَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْئَلُونَ**﴾[٤].

يعتقد الشّيعة الإمامية كما يعتقد المسلمون كافة أنّ الله عز وجل يعيد إحياء الخلائق بعد موتها يوم الحساب والجزاء، وإنّها تعاد بجسدها وروحها كما كانت في الحياة الدّنيا، ولا يجب أن تعرف النّاس كيف تكون الإعادة، وهل هي من قبيل إعادة المعدوم أو ظهور الموجود[٥]، ويعتقدون أيضاً أنّ الجنة هي دار الخلود لا موت فيها ولا هرم ولا حاجة ولا فقر، وأنّ النّار هي دار الهوان والانتقام، وإنّ من مات مصراً على إثمه استحق العقاب إلا أن تشمله رحمة الله وغفرانه[٦]﴿**وَلله ما في السَّماوات وَما في الأَرْضِ يَغْفِرُ لِمَنْ يَشاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشاءُ وَاللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ**﴾[٧]، أو تدركه شفاعة رسول الله أو أحد الأئمّة الأطهار(عليهم السلام) أو المؤمنين[٨]﴿**وَلا يَشْفَعُونَ إِلاَّ لِمَنِ ارْتَضى وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِه مُشْفِقُونَ**﴾[٩].

الإمامة هي أصل المذهب، وهي بمعناها الخاص الاعتقاد بإمامة الأئمّة الاثنى عشر[١٠]، وبمعناها العام: وهي رئاسة عامة في أمور الدّين والدّنيا لشخص من الأشخاص نيابة عن الرّسول(صلى الله عليه وآله)، وهي واجبة لأنّ النّاس إذا كان لهم رئيس مطاع مرشد يردع الظّالم عن ظلمه، ويوجههم إلى الخير ويردعهم عن الشّر، كانوا أقرب إلى الصّلاح وأبعد عن الفساد، والإمام يجب أن يكون منصوباً من الله عز وجل لأنّ لو لم يكن غير ذلك لكان عرضة للفساد وإتباع الأهواء[١١]، والإمام يجب أن يكون معصوماً من السّهو والخطأ والنّسيان[١٢]، لأنّ الإمام حافظ الشّرع والقوام عليه، ويعين الإمام بالنّص والوصية، وبذلك يكون الإمام علي بن أبي طالب(عليه السلام)«و٢٣ق. هـ- ت ٤٠هـ» هو أوّل إمام بعد رسول الله(صلى الله عليه وآله) تنفيذاً لأمر الرّسول(صلى الله عليه وآله) يوم الغدير، وبعده ابنه الحسن «و٢هـ- ت ٥٠هـ»، ثمّ أخوه الحسين بن علي «و٣هـ- ت ٦٢هـ»، ثمّ ابنه علي زين العابدين «و٣٨هـ- ت ٩٤هـ»، ثمّ ابنه محمّد الباقر «و٥٧هـ- ت ١١٤هـ»، ثمّ ابنه جعفر الصّادق «و٨٣هـ- ت ١٤٨هـ»، ثمّ ابنه موسى الكاظم «و١٢٨هـ- ت ١٨٣هـ»، ثمّ ابنه علي الرّضا «و١٤٨هـ- ت ٢٠٣هـ»، ثمّ ابنه محمّد الجواد «و١٩٥هـ- ت ٢٢٠هـ»، ثمّ ابنه علي الهادي «و٢١٢هـ- ت ٢٥٤هـ»، ثمّ ابنه الحسن العسكري «و٢٣٢هـ- ت ٢٦٠هـ»، ثمّ ابنه محمّد بن الحسن العسكري «المهدي»«و٢٥٥هـ- ولا يزال حياً في فترة الغيبة» عليهم السّلام أجمعين، بنص كلّ واحد على ما بعده[١٣].

أتت أخبار «المهدي» من أحاديث الرّسول(صلى الله عليه وآله): عن الإمام علي بن أبي طالب(عليه السلام)، قال الرّسول(صلى الله عليه وآله): «المهدي من أهل البيت، يصلح الله له أمره في ليلة»[١٤]، وعن أبي سعيد الخدري[١٥]، قال الرّسول(صلى الله عليه وآله): «المهدي مني أجلى الجبهة، أقنى الأنف، يملأ الأرض قسطاً وعدلاً، كما ملئت جوراً وظلماً»[١٦]، وعن أمّ المؤمنين أمّ سلمة، قال الرّسول(صلى الله عليه وآله):

(١) كاشف الغطاء، أصل الشّيعة، ص١٠٩.

(٢) العدلية: هم الإمامية والمعتزلة، للاطلاع على أوجه الاختلاف بينهما ينظر: الشّيخ المفيد، محمّد بن محمّد بن النّعمان العكبري البغدادي، أوائل المقالات، تحقيق: إبراهيم الأنصاري، ط٢، دار المفيد «بيروت- ١٩٩٣م»، ص١٤٣ وما بعدها.

(٣) الشّهرستاني، الملل والنّحل، ج١، ص٨٩- ٩٠، كاشف الغطاء، أصل الشّيعة، ص١٠٩.

(٤) سورة الأنبياء، الآية «٢٣»، الطّرائف في معرفة مذاهب الطّوائف، مج٢، ص٣٢٠.

(٥) ينظر: كاشف الغطاء، أصل الشّيعة، ص١١١.

(٦) ينظر: الشّيخ المفيد، محمّد بن محمّد بن النّعمان العكبري البغدادي، الاعتقادات، تحقيق: عصام عبد السّيد، ط٢، دار المفيد «بيروت- ١٤١٤هـ»، ص٧٦- ٧٩، المجلسي، بحار الأنوار، ج٨، ص٢٠٠.

(٧) سورة آل عمران، الآية «١٢٩»، الطّوسي، التّبيان، ج٢، ص٥٨٦.

(٨) ينظر: الشّيخ المفيد، محمّد بن محمّد بن النّعمان العكبري البغدادي، أوائل المقالات، تحقيق: إبراهيم الأنصاري، ط٢، دار المفيد «بيروت- ١٩٩٣م»، ص٤٧.

(٩) سورة الأنبياء، الآية «٢٨»، الحويزي، عبد علي بن جمعة العروسي، تفسير نور الثّقلين، تحقيق: هاشم الرّسولي، ط٤، مؤسسة إسماعيليان «قم- ١٤١٢هـ»، ص١٠٩.

(١٠) الفضلي، المذاهب الإسلامية، ص١٠٧.

(١١) الصّدوق، أبو جعفر محمّد علي بن الحسين بن بابويه القمي، الهداية، تحقيق: مؤسسة الهادي(عليه السلام)، مطبعة الاعتماد «قم- ١٤١٨هـ»، ص٢٦، الأمين، أعيان الشّيعة، مج١، ج١، ص١٠٧.

(١٢) ابن سلامة، أحمد بن محمّد الأزدي، شرح معاني الآثار، ط٣، تحقيق: محمّد النّجار، دار الكتب العلمية «بيروت- ١٩٩٦م»، ج١، ص٥.

(١٣) الشّيخ المفيد، الاعتقادات، ص٩٨- ٩٩، غاب الإمام محمّد بن الحسن بن علي العسكري(عليه السلام) عن الأنظار سنة «٢٦٠هـ»، وهو يحيا حياة طبيعية كسائر النّاس، غير أنّ النّاس يرونه ولا يعرفونه، وسوف يظهره الله عز وجل متى شاء ليحقق عدله، للتفاصيل ينظر: المجلسي، بحار الأنوار، ج٥١، ص٢٢٤- ٢٢٥.

(١٤) ابن حنبل، مسند أحمد، ج١، ص٨٤، الثّقفي، الغارات، ج٢، ص٦٦٦.

(١٥) سعد بن مالك بن سنان بن عبيد بن ثعلبة بن عبيد الخدري، حفظ عن الرّسول(صلى الله عليه وآله) حديثاً كثيراً، وهو من العلماء الفضلاء العقلاء، توفي سنة «٧٤هـ»، للتفاصيل ينظر: ابن الأثير، أسد الغابة، ج٦، ص١٣٨.

(١٦) أبو داود، سليمان بن الأشعث السّجستاني، سنن أبي داود، تحقيق: سعيد محمّد اللحام، دار الفكر «بيروت- ١٩٩٠م»، ج٢، ص٣١٠، ابن خلدون، العبر، ج١، ص٣١٤- ٣١٥، أجلى الجبهة: انحسار الشّعر عن نصف الرّأس، أقنى: ارتفاع في أعلا الأنف، للتفاصيل ينظر: ابن منظور، لسان العرب، ج١٤، ص١٥١، ج١٥، ص٢٠٣.

«المهدي من عترتي، من ولد فاطمة»[١]، وقد بلغ عدد صحابة رسول الله(ﷺ) الّذي رووا أحاديث المهدي(عليه السلام) ستة وعشرين صحابياً[٢]، وهي أساس اعتقاد الإمامية بالمهدي(عليه السلام)، إذ أنّهم يعتقدون أنّ الرّسول(ﷺ) قد بشر المسلمين بمهدي هادياً ومصلحاً، يظهر آخر الزّمان، له منزلة عظمى ورياسة عامة وقدرة خارقة يملأ الأرض قسطاً وعدلاً، بعد ما ملئت ظلماً وجوراً، ومما يجدر أن نذكره في هذا الصّدد أنّ الإمامية يرون أنّ المصلح «المهدي(عليه السلام)» لا بد وأن يظهر، وهم في طور الانتظار، وأنّ كلمة الانتظار لا تعني أن يقف المسلمون مكتوفي الأيدي اتجاه قضايا أمتهم، بل يجب عليهم العمل والجهاد في سبيل الله عز وجل، والأخذ بالأحكام، والأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر[٣].

الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر لا يختص بمورد من الموارد، ولا مجال من المجالات، بل هو شامل لجميع ما جاء به الإسلام من مفاهيم وقيم، وقد بين الإمام(عليه السلام) ذلك في قوله: «بدأ الله بالأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر فريضة منه، لعلمه بأنّها إذا أديت وأقيمت استقامت الفرائض كلّها هينها وصعبها، وذلك أنّ الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر دعاء إلى الإسلام، مع رد المظالم ومخالفة الظّالم»[٤]، واعتبرت الإمامية مبدأ «الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر» من أمّهات العبادات مستندين بذلك على قول الله عز وجل: ﴿**وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ**﴾[٥]، ﴿**الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِناتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِياءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ**﴾[٦]، ومن خلال التّمعن بالآيات الكريمة وتفاسيرها، نجد تكليفاً ليس بالهين ولا اليسير، لأنّه يصطدم بشهوات النّاس ونزواتهم ومنافعهم الذّاتية الضّيقة، ويصطدم بالغرور والكبرياء اللذين تحملهما النّفس البشرية.

ارتبطت أهمية الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر مع أهمية الأهداف والغايات الّتي تتحقق من خلال القيام بها، ارتباطاً طردياً، فمن خلال هذه الفريضة استطاعت الإمامية نشر المفاهيم والعقائد والقيم التّشريعية، فهي تهدي الإنسان إلى الفطرة السّليمة، بالإيمان بالله عز وجل، وبرسوله(ﷺ) والاقتداء به، وبذلك يهدي الإنسان إلى القيم التّشريعية ويطلع على أساسها وقواعدها، وبه يخضع للأحكام في واقعه السّلوكي، وإلى ذلك أشار الإمام(عليه السلام) بقوله: «إنّ الله سبحانه لم يخلقكم عبثاً، ولم يتركم سُدىً.. أنزل عليكم الكتاب تبياناًلكلّ شيء، وعمَّرَفيكم نبيّه أزماناً، حتّى أكمل له ولكم فيما أنزل من كتابه دينه الّذي رضي لنفسه، وأنهى إليكم على لسانه محابَّه من الأعمال ومكارهه، ونواهيه وأوامره، وألقى إليكم المعذرة، واتخذ عليكم الحجّة، وقدّم إليكم بالوعيد، وأنذركم بين يدي عذاب شديد..»[٧]، إنّ النّفوس تتلقى وتستجيب لمن يريد تربيتها وإصلاحها، وتتوجه إلى الفضائل والمكارم وحسن السّيرة إذا ما تمّ تعاهدها بالمعروف، وإبعادها عن ساحة المنكر، فالأمر بالمعروف يدفع إلى العمل الصّالح وإلى التّبري من جميع مظاهر الانحراف والفساد الأخلاقي، فيصبح الانحراف والفساد ظاهرة عارضة وحادثة منقطعة، تعود إلى الأصل وهو الاستقامة على المنهج الّذي يريده الله[٨].

شرّع الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر لضمان سير الحياة بشكل صحيح، بالدّعوة إلى العدل والرّحمة والنّهي عن الجور والظّلم، وإعطاء كلّ ذي حق حقه دون اعتداء أو اضطهاد أو استغلال، فإذا وجد الظّالم والجائر من يردعه بقول أو بفعل، فإنّه سوف يمتنع أو يخفف من ممارساته الجائرة، وقد جعل رسول الله(ﷺ) كلمة العدل عند السّلطان الجائر من أفضل الجهاد، لأنّها وسيلة لردعه، فقال(ﷺ): «إنّ من أعظم الجهاد كلمة عدل عند

(١) أبو داود، سنن أبو داود، ج٢، ص٣١٠، ابن ماجة، محمّد بن يزيد القزويني، سنن بن ماجة، تحقيق: محمّد فؤاد، دار الفكر «بيروت- بلات»، ج٢، ص١٣٦٨، المتقي الهندي، كنز العمال، ج١٤، ص٢٦٤.

(٢) للاطلاع على أسماء صحابة رسول الله(ﷺ)، ينظر: الموسوي، هاشم، التّشيع، مطبعة مهر «قم- ١٩٩٣م»، ص٢٠٩.

(٣) ينظر: الطوسي، محمّد بن الحسن بن علي، الاقتصاد الهادي طريق الرّشاد، تحقيق: حسن سعيد، مطبعة الخيام «قم- ١٤٠٠هـ»، ص١٨٨، المعروف في اللغة يعني: ما يستحسن من الأفعال، وكلّ ما تعرفه النّفس من الخير وتطمئن إليه، والمنكر يعني: كلّ ما قبحه الشّرع وحرمه وكرهه، وقيل المعروف: هو «اسم لكلّ فعل يعرف بالعقل أو الشّرع حسنه»، ينظر: الأصفهاني، الحسين بن محمّد، المفردات في غريب القرآن، مطبعة نشر الكتاب «بلاط- ١٤٠٤هـ»، ص٣٣١، ابن منظور، لسان العرب، ج٥، ص٢٣٣، ج٩، ص٢٣٩.

(٤) الحراني، الحسين بن علي بن الحسين بن شعبة، تحف العقول عن آل الرّسول(ﷺ)، ط٢، مؤسسة النّشر الإسلامي «قم- ١٤٠٤هـ»، ص٢٣٧، المجلسي، بحار الأنوار، ج٩٧، ص٧٩.

(٥) سورة آل عمران، الآية «١٠٤»، الطّبرسي، الفضل بن الحسن، مجمع البيان في تفسير القرآن، تحقيق: لجنة من العلماء، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات «بيروت- ١٤١٥هـ»، ج٢، ص٣٥٧- ٣٥٨.

(٦) سورة التّوبة، الآية «٧١»، الطّوسي، التّبيان، ج٥، ص٢٥٧.

(٧) ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، مج٣، ج٦، ص٢٧٢.

(٨) ينظر: الشّيخ المفيد، محمّد بن محمّد بن النّعمان العكبري البغدادي، المقنعة، تحقيق: مؤسسة النّشر الإسلامي، ط٢، مؤسسة النّشر الإسلامي «قم- ١٤١٠هـ»، ص٨٠٩- ٨١٠.

سلطان جائر»[١]، وإلى هذا المعنى أشار الإمام(عليه السلام) في قوله: «الأمر بالمعروف مصلحة للعوام، والنّهي عن المنكر ردعاً للسفهاء»[٢]، وقال(عليه السلام) أيضاً: «رحم الله امرأً أحيى حقاً وأمات باطلاً وأدحض الجور وأقام العدل»[٣].

دعا الرّسول(صلى الله عليه وآله) إلى المعروف الأعظم وهو الإيمان بالله عز وجل وتوحيده، ونهى عن المنكر الأعظم وهو الكفر والشّرك، فخاطب العقول والقلوب، فكان يدعو إلى البر والتّقوى، وإلى الصّدق والأمانة، وإلى العدل والرّحمة، وحفظ العهد، وينهى عن الشّر والعصيان، وعن الكذب والخيانة، وعن الظّلم والاعتداء، وكان يدعو الكفار كما يدعو أهل الكتاب، وظل يذكر المسلمين بالفضائل والمكارم، وينهاهم عن الرّذائل وسوء الأفعال، إلى آخر حياته، وفي جميع الظّروف[٤]، وقد سار الإمام(عليه السلام) على خطى الرّسول(صلى الله عليه وآله) في القيام بأداء مسؤولية الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر في جميع مراحل حياته[٥]، إلى أن وصل إلى مرحلة المجابهة بالسّيف على من ارتكبوا المنكر الأكبر، وهو التّمرد على خليفة الله وإمام المسلمين، وأرادوا شق عصا المسلمين، فأجاب(عليه السلام) من اعترض عليه يوم صفين: «ولقد اهمّني هذا الأمر وأسهرني، وضربت أنفه وعينه، فلم أجد إلا القتال أو الكفر بما أنزل الله على محمّد(صلى الله عليه وآله)، إنّ الله تبارك وتعالى لم يرض من أوليائه أن يعصي في الأرض وهم سكوت مذعنون، لا يأمرون بالمعروف ولا ينهون عن المنكر، فوجدت القتال أهون عليّ من معالجة الأغلال في جهنم»[٦].

ظلّ الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر رفيق الإمام(عليه السلام) طيلة حياته، ثم أورثه لأبنائه، فمن وصيته(عليه السلام) لابنه محمّد بن الحنفية: «كن أخذ النّاس بما تأمر به، وأكفّ النّاس عمّا تنهى عنه، وأمر بالمعروف تكن من أهله، فإنّ استتمام الأمور عند الله تبارك وتعالى الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر»[٧]، ومن وصيته(عليه السلام) لابنه الخليفة الإمام الحسن(عليه السلام)«٤٠-٤١هـ/ ٦٦٠- ٦٦١م»: «وأمر بالمعروف تكن من أهله، وأنكر المنكر بلسانك ويدك وبأين من فعله بجهدك، وجاهد في الله حق جهاده، ولا تأخذك في الله لومة لائم، وخض الغمرات إلى الحق حيث كان»[٨].

❖ ❖ ❖

(١) التّرمذي، سنن التّرمذي، ج٣، ص٣١٨، المتقي الهندي، كنز العمال، ج٣، ص٦٥.

(٢) ابن شهر، مناقب آل أبي طالب، ج٢، ص١٩٨، الحلواني، الحسين بن محمّد بن الحسن، نزهة النّاظر وتنبيه الخاطر، تحقيق: مدرسة المهدي(عليه السلام)، مطبعة مهر «قم- ١٤٠٨هـ»، ص٤٦.

(٣) الواسطي، عيون الحكم والمواعظ، ص٢٦١.

(٤) ينظر: النّجفي، محمّد حسين، جواهر الكلام في شرح شرائع الإسلام، تحقيق: عبّاس القوجاني، دار الكتب الإسلامية «طهران- ١٣٦هـ»، ج٢١، ص٣٥٢- ٣٥٥.

(٥) للتفاصيل ينظر: جرداق، الإمام علي، ج١، ص١٧٧- ١٨١.

(٦) المنقري، واقعة صفين، ص٤٧٤، الدينوري، الأخبار الطوال، ص١٨٨.

(٧) الصّدوق، من لا يحضر الفقيه، ج٤، ص٣٨٧، الحر العاملي، محمّد بن الحسن، تفصيل وسائل الشّيعة، تحقيق: مؤسسة آل البيت(عليهم السلام) لإحياء التّراث «قم- ١٤١٤هـ»، ج١٦، ص١٥٠.

(٨) الحراني، تحف العقول، ص٦٩، ابن طاووس، رضي الدّين أبو القاسم علي بن موسى بن جعفر بن محمّد بن الحسني، كشف المحجة لثمرة المهجة، المطبعة الحيدرية «النّجف الأشرف- ١٩٥٠م»، ص١٦١.